جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بدسوق

مجلة الدراية
https://drya.journals.ekb.eg
drya.journal@gmail.com

مجلة الدراية
مجلة علمية محكمة ربع سنوية

العدد الثامن والعشرون [يوليو ٢٠٢٥م]

مبهمات الملوك في كلام ملك الملوك

"دراسة تفسيرية"

الدكتور

أحمد محمدي إبراهيم العمروسي

مدرس التفسير وعلوم القرآن

في كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

جامعة الأزهر - مصر

مبهمات الملوك في كلام ملك الملوك "دراسة تفسيرية"

أحمد محمدي إبراهيم العمروسي.
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: ahmedmohamadyelamrosy.27@azhar.edu.eg

الملخص:
يهدف البحث إلى دراسة علم المبهمات القرآنية بنظرة تطبيقية على ما ورد في القرآن من آيات تتحدث عن ملوك الدنيا، مع إبراز منزلة علم المبهمات، وأشهر المؤلفات حوله، وطرق الوصول إليه، وحُكم البحث فيه، وأثره في التفسير، والتعرض لحديث القرآن عن الملوك، والغاية من ذكرهم، واستنباط بعض الحِكم من وراء إبهام أسماء بعضهم، ومحاولة الكشف عن أسمائهم من خلال البحث في كتب أهل التفسير، وعلوم القرآن، والسنة، والآثار، والتاريخ، مع نظرة على سياق الآيات وما حوته من أحداث حولهم، وقد اتبعت المنهج الاستقرائي والوصفي والاستنباطي، وانتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها: أن السبيل إلى معرفة المبهم في القرآن يحتاج أحياناً مع النقل إلى شيء من إعمال الرأي الممدوح، وأفضل الطرق لكشفه هو طريق القرآن، أو السنة، أو آثار الصحابة والتابعين، أو النظر في أسباب النزول، أو النقل ممن أسلم من أهل الكتاب، أو تحكيم إجماع العلماء، أو قول أكثر أهل التفسير والأخبار والسير، أو البحث والنقل من المصنفات والمدونات التي اعتنت بمبهمات القرآن، وقد وردت كلمة (مُلك) و(مَلِك) في آيات كثيرة، معظمها في إثبات المُلك لله مطلقاً، أو مضافةً إلى بعض خلقه كالسماوات والأرض، والبقية واردة في إثبات المُلك لبعض البشر، وبلغ عدد الملوك إجمالاً في القرآن ثلاثة عشرة مَلِكاً، صرح بأسماء خمسة منهم، وأبهمت أسماء ثمانية منهم، وكان من أبرز الحِكم والأسباب التي ظهرت في سياق آيات الملوك المبهمة أسماؤهم: قصد العموم، والتعظيم، والتحقير والتشنيع، ومراعاة المناسبة والسياق، والدعوة إلى الاقتداء بالترغيب أو الترهيب، وجعل بعضهم نماذج وأمثال للعبرة والعظة، مع إعمال الفكر والنظر. وقد دعا البحث إلى الاهتمام بالجوانب التطبيقية، ومن ذلك محاولة إفراد كل قسم من أقسام المبهم في القرآن بشيء من الدراسة والبحث؛ للوقوف على مزيد من الأسباب والحِكم والهدايات.

الكلمات المفتاحية: مبهم، ملوك، حِكم، أسباب، قصص، استنباط.

Ambiguities of Kings in the Speech of the King of Kings: An Exegetical Study.

Ahmed Muhammadi Ibrahim Al-Amrousi.
Department of Tafsir and Quranic Sciences, Faculty of Usul al-Din and Da’wah, Tanta, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: ahmedmohamadyelamrosy.27@azhar.edu.eg

Abstract:
This research aims to study the science of ambiguities (*mubhamat*) in the Quran through an applied analysis of verses discussing the kings of the world, highlighting the status of this science, its most prominent works, methods of accessing it, the ruling on researching it, and its impact on Quranic exegesis. The study also examines the Quran’s discourse on kings, the purpose of their mention, and the derivation of wisdom behind the ambiguity of some of their names. It attempts to identify these names by consulting works of tafsir, Quranic sciences, Hadith, historical accounts, and the context of the verses and their related events. The research employs inductive, descriptive, and deductive methodologies.
The study concludes with several findings, including: understanding ambiguous references in the Quran sometimes requires a combination of transmitted knowledge and commendable reasoning. The most reliable methods for clarifying ambiguities are the Quran itself, the Sunnah, the reports of the Companions and Followers, consideration of the causes of revelation, accounts from converted People of the Book, scholarly consensus, the majority view of tafsir scholars and historians, and specialized works on Quranic ambiguities. The words mulk (sovereignty) and malik (king) appear in numerous verses, mostly affirming sovereignty exclusively to Allah or attributing it to some of His creations, such as the heavens and the earth. Other verses ascribe sovereignty to certain humans. The Quran mentions a total of thirteen kings, explicitly naming five and leaving eight unnamed. Prominent reasons and wisdoms behind the ambiguity of unnamed kings include: generalizing the message, magnifying or demeaning, maintaining contextual appropriateness, encouraging emulation through incentive or deterrence, and presenting examples for reflection and admonition, while engaging thought and contemplation.
The research calls for greater attention to applied aspects, such as dedicating specialized studies to each category of ambiguity in the Quran to uncover additional reasons, wisdoms, and guidance.
Keywords: Ambiguity, Kings, Wisdoms, Reasons, Narratives, Derivation.

مقـــدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة السلام على رسول الله ﷺ.

أما بعد،

فإن الله ﷻ قد أنزل كتابه العزيز هدى وموعظة وتبياناً لكل شيء، وضمنه ﷻ كثيراً من ألوان الفصاحة والعلوم الغزيرة التي حار الناس وعلى رأسهم البلغاء في إحصاء عدها وبلوغ حدها، وما زالت الأوقات والأعمار تُبذل في البحث عن مكنونات هذا التنزيل، والتأمل والتدبر في آياته وألفاظه، والكشف عن حِكَمه وأسراره، ومن بين هذه العلوم التي وردت في القرآن واستعملتها العرب في كلامها علم المبهمات، لما له من إسهامات عالية في إبراز بلاغة النظم القرآني، وبديع جماله، وروعة أسلوبه، وقوة تأليفه، وائتلاف كلماته وحروفه، وتجلي معانيه المضمرة في ثنايا سياقاته، والكشف عن كثير من منافعه وهداياته .

ومن أجل ذلك، فإن هذا البحث الموسوم بـ: **مبهمات الملوك في كلام ملك الملوك "دراسة تفسيرية"**[(١)]، محاولة بحثية لنيل شرف الوصول إلى جمع ميسر يحوي بعضاً من المبهمات القرآنية، مع التعرض لأشهر القضايا المتعلقة بها، دون إطالة وتشتيت، مع إبرازٍ لأشهر الأقوال والأدلة والمصنفات، والمساهمة في طرح بعض الروابط المشتركة بينها، مستعيناً بالله أولاً، ثم بما سطره جهابذة التفسير وعلوم القرآن والسنة والسير والتاريخ في كتبهم وأسفارهم، والله من وراء القصد، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

---

(١) وتقييد الدراسة بالتفسيرية للتنبيه على أمرين، الأول: أنه بحث في مجال القرآن الكريم وتفسيره، والثاني: الاستعانة بأشهر المناهج المعتبرة في جانب الدراسات التفسيرية كالمنهج الاستقرائي والوصفي والاستنباطي في بيان مبهمات أسماء الملوك واستخراج بعض الحِكَم المتعلقة بها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ترجع أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره لعدةِ أمور، من أهمّها ما يلي:

أولاً: مكانة علم المبهمات العالية بين مباحث علوم القرآن، ومنزلته الرفيعة في جانب التفسير، واهتمام العلماء به تعرضاً وتأليفاً وتصنيفاً، وإبرازه كوجه من وجوه الإعجاز والفصاحة القرآنية مما يجعله محط أنظار الباحثين والدارسين.

ثانياً: ما فُطرت عليه النفوس البشرية من التطلع لمعرفة ما أبهم وخفي عنها، والتشوق للوقوف على المراد من المبهم الوارد في القرآن، والحِكمة من ورائه، وأسرار سرده على هذا النمط.

ثالثاً: شمولية معالجة القرآن الكريم لكل تفاصيل الحياة، وبيانه لكيفية العيش على الأرض وعمارتها وحُكْمها وإدارة شؤونها، وتعرضه لذكر بعض ملوك الدنيا وطرفاً من أحوالهم؛ طلباً للعظة والعبرة والاقتداء، مع تنوعه في سرد ذلك بين التصريح أحياناً والإبهام حيناً آخر.

وبالتالي، فإن دراسة مبهمات الملوك في القرآن الكريم من منظور أهل التفسير وعلوم القرآن والسنة والسير والتاريخ والأخبار يسهم في الكشف عن مجموعة من الروابط المشتركة التي تساعد في تسهيل وتقريب الأقوال حول مبهمات الملوك، وتحديد أسمائهم، ولمحة عن بعض شأنهم وحياتهم، وفهم أسباب الاختلاف حولهم، وكيفية الوصول لأفضل اختيار، فترجع فائدة ذلك كله على الفهم، ويظهر أثره في بيان عظمة وإعجاز القرآن الكريم.

هذه بعض الأسباب التي دعتني للبحث في هذا الموضوع القيم، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الدراسات السابقة.

من خلال البحث في السجلات الخاصة بالأبحاث العلمية، وعبر الشبكة العنكبوتية -الإنترنت- وفهارس وكشافات الدراسات القرآنية؛ لم أقف على دراسات سابقة جامعة متخصصة ربطت بجلاء بين قضية المبهم وأثره في حديث القرآن عن ملوك الدنيا، حسب محيط الاطلاع، وإنما هي كتابات وإسهامات متعددة مبثوثة في كتب أهل التفسير، والسير، والتاريخ، وكتابات بعض المهتمين بالدراسات الإسلامية والتي تطيل الكلام في العرض والتأصيل والمناقشة والتخريج والرد والاعتراض، والاهتمام بكلٍ من المبهم أو الملوك على حده، **ومن ذلك:**

١. المصنفات في المبهمات، دراسة نقدية في ضوء الكتب المصنفة في مبهمات القرآن، للباحث: محمد علي مكي، بحث مقدم لمجلة حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا، بجامعة الأزهر الشريف، ٢٠١٣م.
٢. المبهم في القرآن الكريم وحكمه، دراسة نظرية تطبيقية على نماذج من سورة البقرة، للباحث: محمد عبد الرحمن جعفر، بحث مقدم لمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، بمكة المكرمة ٢٠١٥م.
٣. المُلك في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية، للباحث: أحمد زغلول عباس مهران، رسالة ماجستير في قسم القرآن الكريم وعلومه بكلية العلوم الإسلامية، بجامعة المدينة العالمية بماليزيا، ٢٠١٣م.
٤. سنن النهوض في قصص الملوك في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية، للباحث: كفاح عبد الرحمن الرملي، رسالة دكتوراة في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، بالجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٢٢م.

وهذه الأبحاث وغيرها قد تجتمع مع دراستي في بعض الجوانب النظرية، والمسائل العامة، ولكنها تختلف عنها في جانبها الأهم وهو الجانب

التفسيري التطبيقي، والذي اهتم بالربط والجمع بين قضيتين وهما: علم مبهمات القرآن مع ما عرضه القرآن من ذكرٍ لقصص بعض ملوك الدنيا المبهمة أسماؤهم عبر العصور والأزمان، ثم محاولة التركيز على إبراز مسألة محددة مخصصة وهي كشف الغطاء عن أسمائهم المبهمة، ثم البحث عن بعض الحِكم والأسباب من وراء إبهام أسماء بعض هؤلاء الملوك المذكورين في القرآن دون غيرهم.

الهدف من هذا البحث، وما يضيفه.

تهدف الدراسة لإبراز النقاط التالية:

- التأكيد على مدى اهتمام القرآن الكريم بكل شؤون الحياة، ومنها ظهور الممالك والحضارات وازدهار بعضها وانحدار أُخر، وجريان بعض السنن الإلهية على من اعترف وشكر أو أنكر وغيّر وبدّل.
- إظهار مكانة علم المبهمات، وأثره في التفسير، وتِعداد أبرز المؤلفات المصنفة حوله قديماً وحديثاً.
- التعرض للسياقات القرآنية المتحدثة عن مبهمات الملوك، وما حوته من دروس وتجليات.
- الوقوف على أصح الروايات والأقوال وأشهرها في شأن ملوك الدنيا المبهمين في القرآن، والكشف عن أسمائهم، والإشارة إلى بعض أوصافهم وأحوالهم ومآلاتهم وعاقبة أمرهم.
- إبراز بعض حِكم إيراد المبهم في القرآن الكريم، واستخلاص بعض العظات والعبر، من خلال دراسة تطبيقية على مبهمات الملوك دون غيرهم ممن صُرح بأسمائهم.

منهج البحث

أ- منهج البحث:

تتعدد مناهج البحث وتختلف باختلاف الموضوع، ولكن طبيعة الموضوع هي التي تقرر أيّاً من تلك المناهج يصلح استخدامه في هذا الموضوع أو ذاك، ومن هذا المنطلق يسير منهج البحث والدراسة على:

١) المنهج الاستقرائي: **ويتمثل في** تتبع الآيات والسياقات القرآنية التي ورد فيها ذكرٌ مباشر أو إشارة إلى الملوك المبهمة أسماؤهم، مع النظر في أقوال علماء التفسير وعلوم القرآن والتاريخ والسير حولها، وموقفهم منها.

٢) المنهج الوصفي: **ويتمثل في** ذكر المسائل المتفق عليها عند أكثر العلماء، والإعراض عن المسائل المختلف فيها -قدر الاستطاعة- مشيراً إلى أشهر وأقوى الأقوال دون سرد مخل، متجنباً المناقشات والاعتراضات والردود الطويلة.

٣) المنهج الاستنباطي: **ويتمثل في** استنتاج واستخراج بعض حِكم الإبهام في قصص الملوك، والآثار المترتبة عليها، وما تضمنته آياتها وكلام الأئمة حولها من دلالات ومعان وهدايات ولطائف وإشارات وروابط.

ب- حدود وإطار البحث:

- التزم البحث بالمبهمات القرآنية بوجه عام، وبمبهمات الملوك بوجه خاص، وبيان بعض الجوانب المتعلقة بها.
- جعلت من الآيات الوارد فيها مبهمات الملوك محوراً لهذا البحث، واجتهدت في استنباط ما فتح الله من أسرارها، محاولاً تقريب أقوال العلماء لها، وتجلية بعض قضاياها المتعلقة بها، مما أحسب أنه سيسهم في إثراء الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم.

جـ- طريقة عملي في البحث:

يمكن توضيح الطريقة التي اتبعتها في كتابة البحث في النقاط الآتية:

- استقرأت القرآن الكريم للوقوف على المواضع التي وردت فيها إشارة إلى مَلِك مبهم غير مصرح باسمه.
- استقرأت العديد من كتب التفسير، وعلوم القرآن، وكتب السنن والآثار، والتاريخ، والسير والأخبار؛ لجمع الكلام حول الموضوع، ثم قمت بدراسته، وتقسيمه، وبيان الصلات والعلاقات التي بين عناصره وقضاياه.
- صنفت المباحث حسب ترتيب المراد من الموضوع، فخصصت مبحثاً لعلم المبهمات، ومبحثاً لحديث القرآن عن الملوك، ومبحثاً للنماذج التطبيقية، جمعت فيه الملوك المبهمة أسماؤهم في القرآن، وعرضت المواضع حسب التسلسل والسرد التاريخي للشخصيات المبهمة.
- ما نقلته من كلام غيري فإني أضعه بين علامتي تنصيص " " ثم أشير إلى المصدر في الهامش، فإن لم أنقل بالنص بل بتلخيص الكلام أو مفهومه فإني أقول: ينظر كذا.
- ما نقلته من المصادر والمراجع في أثناء البحث أشير إليه في الهامش ذاكراً: عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، ثم أنقل بقية بيانات الكتاب كاملة في فهرس المصادر والمراجع طلباً للاختصار وعدم التكرار، فأذكر: اسم الكتاب، واسم مؤلفه، واسم المحقق -إن وُجد- ودار النشر، ورقم الطبعة، وسنة الطبع -إن وُجدت- وعدد الأجزاء.
- ذكرتُ الكتاب باسمه الذي سماه به مؤلفه عند العزو، وإن كان غيره أشهر منه؛ ليكون طالب العلم على دراية بأسماء الكتب.
- عزوت الآيات القرآنية بجوارها إلى مواضعها في القرآن الكريم.

- خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها، وحكمت على غير ما في الصحيحين بذكر بعض ما قاله أهل العلم في الحديث تصحيحاً أو تضعيفاً.
- عزوتُ كل قول إلى قائله –قدر الاستطاعة–، وعلَّقتُ على الموضوعات التي تحتاج إلى تعليق –قدر الطاقة– وأوضحت الألفاظ الغريبة، والمصطلحات العلمية من مصادرها الأصلية.
- ضبطتُ بالشكل ما يحتاج إلى ضبط مما تُشكِل قراءته، ويلتبس نطقه.
- ختمتُ البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس الفنية.

خطة البحث

انتظم عقد هذا البحث ونمط تقسيمه واقتضت طبيعته أن يكون في: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية، وبيانها على النحو التالي:

مقـــــدمة

وقد اشتمَلَتْ على:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والهدف من البحث، ومنهجه، وخطته.

المبحـــث الأول: **علم مبهمات القرآن "معناه، ومكانته، وطرقه، وأسبابه، وحُكمه، وأثره".**

المبحث الثاني: **حديث القرآن عن الملوك.**

المبحث الثالث: **نماذج تطبيقية لمبهمات الملوك في القرآن الكريم.**

الخـــاتـمـــــــة: **بها أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس الفنية.**

وأسأل الله تعالى أن يوفقني فيما قصدت، وأن يسبغ علي فضله وإحسانه فيما كتبت، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول:

علم مبهمات القرآن

"معناه، ومكانته، وطرقه، وأسبابه، وحكمه، وأثره".

علم المبهمات علم عظيم، يحتاج البحث فيه والوقوف على جُلّ مسائله إلى كتابات مطوله، ولعل الصفحات التالية تشير باختصار إلى بعض جوانبه، كالتعريف به، والوقوف على طرق معرفته، والإشارة إلى بداية هذا العلم، وأهم مصنفاته، ومدى اهتمام السلف والخلف به، وإبراز بعض أسبابه وحِكمه وآثاره، وبيان حُكم تعلمه ودراسته وتعليمه، **وإليك بيان ذلك:**

أولاً: الإبهام في اللّغة: ضد التعيين والتمييز والتحديد، ويدور معناه حول الخفاء، والستر، والإشكال، والاشتباه، والغموض، وعدم الوضوح، وكل ما يصعب على المرءِ فهمه وإدراكه، ولا يستبين سببه[١].

ثانياً: الإبهام في الاصطلاح: تعددت وتباينت الأقوال حول تعريف الإبهام في القرآن، ولعل أقربها وأشملها أن يقال هو: كل لفظ ورد في القرآن الكريم لم يتحدد المقصود والمراد منه، ولم يُنص على ذكره باسمه العَلَم[٢]، أو نسبه، أو لم يحدد عدده، أو لم يبين زمانه، أو لم يعرف مكانه، واحتاج إلى غيره لكشفه وبيانه[٣].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (بهم) (١/ ٣١١)، لسان العرب لابن منظور، مادة (بهم) (١٢/ ٥٦).

(٢) ذكر من لم يسمه الله في القرآن باسمه العلم، من نبي أو ولي أو غيرها من آدمي، أو ملك، أو جني، أو بلد، أو كوكب، أو شجر، أو حيوان، له اسم عَلَم مفرد أو مثنى أو جمع.

(٣) ينظر: التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام للسّهيلي (ص ٨)، وغرر البيان لمبهمات القرآن لابن جماعة (ص ٣٨)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/ ٩٦).

فالمبهم في كتاب الله تعالى: هو ما خفي اسمه، أو رسمه، أو وصفه، أو عدده، أو زمانه، أو مكانه، أو أحداثه، ونحو ذلك مما خفيت آثاره، أو جهلت أحواله لسبب من الأسباب الجلية أو الخفية، سواء احتاج المكلفون إلى معرفته بالبحث عن الوسائل التي تزيل خفاءه، وتدفع إشكاله، أم لم يحتاجوا إلى ذلك[(١)].

وسيهتم هذا البحث -بإذن الله- بألفاظ الملوك المذكورة في القرآن الكريم على وجه الإشارة، دون تصريح بأسماء أعيانهم.

ثالثاً: **مكانة علم مبهمات القرآن**:

هو علم اهتم به كبار الصحابة منذ بداية الإسلام، واعتنوا به، وعرفوا فضله وشرفه[(٢)]، وكَثُرت الإشارة إليه في كتب التفسير وعلوم القرآن

(١) وللمزيد من الأقوال والتعاريف حول مبهم القرآن، أو غيره كالمبهم عند النحويين أو المحدثين أو الأصوليين ينظر: المستصفى للغزالي (ص٥٤)، والمفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (ص٦٣)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/ ٩٣).

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعت كنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له، فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه فقلت له: يا أمير المؤمنين من اللّتان تظاهرتا على النّبيّ ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة. قال العلماء: هذا أصل في علم المبهمات، ودليل على شرف هذا العلم، وأن الاعتناء به حسن، ومعرفته فضل. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [النساء: ١٠٠]، طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وجدته، هو ضمرة بن حبيب. وهذا دليل أوضح على اعتنائهم بهذا العلم ونفاسته عندهم. ينظر: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي (ص٨).

حتى عُدّ نوعاً من أنواع علوم القرآن ومبحثاً من مباحثه(١)، وقد بلغ الاعتناء به أن أفرده كثير من العلماء بالتصنيف في كتب مستقلة(٢)، يقول الإمام ابن عسكر(٣): "وإن من أشرف علومه وأطرف مفهومه، علم ما أبهم فيه من أسماء الذين نزلت فيهم الآيات، وكانوا سبباً لما فيه من الأخبار

(١) ومن أشهر الكتب التي اعتنت بهذا المبحث:

- الإكسير في علم التفسير لأبي الربيع، نجم الدين، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي (ت: ٧١٦هـ).
- البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله، بدر الدين، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ).
- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت: ٩١١هـ).
- أغلب كتب التفسير على مر العصور، كتفسير مجاهد، ومقاتل، والطبري، والثعلبي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عاشور...إلخ.

(٢) ومن أشهر المؤلفات في علم المبهمات:

- التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، لأبي زيد، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ).
- التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام لأبي عبد الله بن عسكر، محمد بن علي بن الخضر الأندلسيّ (ت: ٦٣٦هـ).
- الاستدراك والإتمام للتعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن لابن فُرْتُوْن، أحمد بن يوسف بن أحمد السلمي (ت:٦٦٠هـ).
- الاستدراك على التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن لأبي عبد الله الشّامي، محمّد بن علي بن يحيى الغرناطي (ت: ٧١٥هـ).
- التبيان لمبهمات القرآن، "غرر البيان لمبهمات القرآن" لبدر الدين، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (ت: ٧٣٣هـ).
- صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل لأبي عبد الله، محمد بن علي البلنسيّ (ت: ٧٨٢هـ).
- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن لجلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت: ٩١١هـ).
- الياقوت والمرجان في تفسير مبهمات القرآن للدكتور/ عبد الجواد خلف عبد الجواد (معاصر).

(٣) هو: محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني، أبو عبد الله، المعروف بابن عَسْكَر، قاض، أديب، نحوي، مقرئ، عالم بالتاريخ والحديث، من أهل مالقة بالأندلس، من أشهر كتبه: المشرع الروي في الزيادة على غريبي الهروي، ونزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر، والتكملة والإتمام لكتاب التعريف والإعلام، استدرك به على السهيلي، ولد سنة: (٥٨٤هـ)، وتوفي سنة: (٦٣٦هـ)، ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة (٣/ ١٩٣)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٨١)، معجم المفسرين لعادل نويهض (٢/ ٥٨١).

والحكايات"[1]، ويقول الإمام البَلَنْسيّ[2]: "إذا كانت الأدباء تتدارس علم ما أبهم من أسماء الشعراء، وتتنافس في ذكر طبقاتهم وأخبارهم للأمراء، فالقارئون لكتاب الله بذلك أحرى وعلى سنن الصالحين أجرى"[3].

رابعاً: **الطريق إلى معرفة المبهم**:

السبيل إلى معرفة المبهم في القرآن يكون من خلال السير والبحث والاستعانة بما يلي:

١. آيات القرآن الكريم، ويسمى بتفسير القرآن بالقرآن، فالذي يُبهم في موضع يُوضح في موضع آخر.
٢. الأحاديث الواردة عن رسول الله -ﷺ- التي توضح بعض المبهمات، وتسمى بتفسير القرآن بالسنة.
٣. الآثار الواردة عن الصحابة -رضوان الله عليهم- الذين شاهدوا التنزيل، وعلى رأسهم: الإمام عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبو سعيد الخدري -رضي الله عنهم-.
٤. الآثار الواردة عن التابعين -رضوان الله عليهم- الحاملين لعلم الصحابة، وعلى رأسهم: الإمام قتادة، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، ووهب بن منبه، والربيع بن أنس.

(١) التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام لابن عسكر (ص ٣٤).

(٢) هو: محمد بن علي بن أحمد الأوسي البلنسي، أبو عبد الله، نحوي، مفسر، من علماء غرناطة، من أشهر كتبه: تفسير كبير لم يصل إلينا، وكتاب صلة الجمع وعائد التذييل، جمع فيه بين كتاب التعريف والإعلام للسهيلي وكتاب التكميل والإتمام لابن عسكر، ولد سنة: (٧٢٤هـ)، وتوفي سنة: (٧٨٢هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢١٣)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٨٦).

(٣) صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل للبلنسي (١/ ١٠١).

٥. النظر في أسباب النزول(١): يقول العلامة الطاهر بن عاشور: "وقد تصفحت أسباب النزول التي صحت أسانيدها فوجدتها خمسة أقسام: الأول هو: المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه، فلا بد من البحث عنه للمفسر، وهذا منه تفسير مبهمات القرآن مثل قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١]، ونحو: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا} [البقرة: ١٠٤]، ومثل بعض الآيات التي فيها: {وَمِنَ النَّاسِ}[البقرة: ٨]..."(٢).

٦. النقل من كتب أهل الكتاب كالتوراة والإنجيل، وتسمى بالإسرائيليات، وهو ما نقله من أسلم منهم مثل كعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، مع التأكد من عدم مخالفة المنقول لأصول الإسلام وقواعده وتشريعاته(٣).

---

(١) وإن كان مدرجاً تحت الأحاديث والآثار إلا أنه أُفرد لأهميته وكثرة استخدامه في علم المبهمات، وليست كل الأحاديث والأثار المتعلقة بالمبهمات تُعد من أسباب النزول.

(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (١/ ٤٧).

(٣) الأخبار الإسرائيلية على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يُعلم صحتها بما عندنا من الشريعة، فتُذكر استئناساً واستشهاداً لا اعتقاداً، وإذا ذكرت في التفسير فلا تكون هي المفسرة للآية، بل المفسر للآية هو ما ثبت في شرعنا. الثاني: أن يُعلم كذبها بما عندنا من الشريعة، فيجب ردها وعدم قبولها، ولا تجوز حكايتها إلا على سبيل التنبيه على بطلانها. الثالث: أن تكون من المسكوت عنها، فلم يرد في شرعنا ما يدل على صدقها ولا كذبها، وهذا القسم لا يصدق ولا يكذب، لكن منه ما تحيله العقول السليمة ويغلب على الظنون كذبه، وهو أقرب إلى الخرافة، كجبل قاف المزعوم، والحوت نون الذي تحمل عليه الأرض، فمثل هذه الإسرائيليات يجب ردها، ومنه مالا تحيله العقول السليمة، ولا يغلب على الظنون كذبها، فمثل هذه الإسرائيليات لا تصدق ولا تكذب. يقول الإمام ابن كثير: "ولسنا نذكر من الاسرائيليات إلا ما أذِن الشارع في نقله، مما لا يخالف كتابَ الله تعالى وسنةَ رسوله ﷺ، وهو القسم الذي لا يُصدَّق ولا يكذب، مما فيه بسطٌ لمختصر عِنْدَنا، أو تسميةٌ لمبهم وَرَدَ به شرعُنا مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلِّي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه. وإنما العمدة والاستناد على كتاب الله تعالى وسنّة رسول الله ﷺ، ما صحَّ نقلُه أو حَسُن، وما كان فيه ضعفٌ نبيّنه، وبالله المستعان وعليه التُّكلان، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله العزيز الحكيم العليّ العظيم... وقول النبي ﷺ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيةً، وَحدِّثُوا عَنْ بَني إسْرَائيلَ ولا حَرَجَ، وحدِّثُوا عَنِّي ولا تكْذِبُوا عليَّ، ومنْ كذب عليَّ =

٧. تحكيم واعتبار إجماع العلماء، أو قول أكثر أهل التفسير والأخبار والسير، ومن أمثلة ذلك ما قاله الإمام الطبري في بيان الأرض المقدسة عند قوله تعالى: {يَاقَوۡمِ ادۡخُلُوا الۡأَرۡضَ الۡمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمۡ} [المائدة: ٢١]: "القول في ذلك بأنها أرض دون أرض لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسِّير والعلماءِ بالأخبارِ على ذلك"(١). ومن ذلك أيضاً ما قاله عن معنى الأعراف في قوله تعالى: {وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمۡ} [الأعراف: ٤٦]: "والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كُلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله ﷺ يصح سنده، ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة، فإذ كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يُدرك قياساً، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن "الرجال" اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيِّنًا أن ما قاله أبو مجلز(٢) مِن أنهم ملائكة، قولٌ لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل

=

مُتعمدًا فَلْيتبوأْ مَقْعَدَهُ منَ النَّارِ" فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يُصدِّقُها ولا ما يُكذِّبُها، فيجوز روايتُها للاعتبار، وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا". البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٨)، وللمزيد ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٩)، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبي شهبة (ص١٠٦).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٠/ ١٦٨).

(٢) هو: لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، إمام تابعي، ثقة مشهور بكنيته، توفي سنة (١٠٩هـ). ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٦٢)، الثقات لابن حبان (٥/ ٥١٨).

التأويل غيره. هذا مع مَنْ قال بخلافه من أصحاب رسول الله ﷺ، ومع ما روي عن رسول الله ﷺ في ذلك من الأخبار، وإن كان في أسانيدها ما فيها"[١].

٨. البحث والنقل من المصنفات والمدونات التي اعتنت بمبهمات القرآن الكريم: يقول الإمام السيوطي: "وهذا كتاب يفوق الكتب الثلاثة – السهيلي وابن عسكر وابن جماعة – بما حوى من الفوائد والزوائد، وحسن الإيجاز، وعزو كل قول إلى من قاله، مخرجاً من كتب الحديث والتفاسير المسندة، فإن ذلك أدعى لقبوله وأوقع في النفس، فإن لم أقف عليه مسنداً عزوته إلى قائله من المفسرين والعلماء، وقد سميته (مفحمات الأقران في مبهمات القرآن)"[٢].

كانت هذه أبرز السبل الموصلة والكاشفة عن مبهم القرآن الكريم، وفي هذا الشأن يقول الإمام السيوطي: "ومرجع هذا العلم النقل المحض، ولا مجال للرأي فيه، وإنما يرجع القول فيه إلى قول النبي ﷺ وأصحابه الآخذين عنه، والتابعين الآخذين عن الصحابة"[٣].

وبناء على ما سبق، فلعل الأقرب أن يُقال: إن معظم وأغلب علم المبهمات مرجعه النقل، ومجال الرأي فيه واقع في مواضع قليلة، كتحديد مواضع التبيين والإيضاح والتفصيل بعد الإبهام عند النقل من القرآن، وكالحكم على الروايات والآثار والإسرائيليات عند النقل من كتب أهل الكتاب، وكذلك عند اختيار وترجيح بعض الأقوال على بعض، واستنباط الحِكم والأسباب فإنه يحتاج مع النقل لإعمال الرأي الممدوح مع علوم الآلة للربط الصحيح

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٢/ ٤٦٠).
(٢) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي (ص٧).
(٣) السابق (ص٨).

بينهما، لاحتمال وقوع خطأ عند الاستدلال، أو قصور في دراسة الاستخدام القرآني لبعض الألفاظ والمعاني، كالنظر إلى مواطن قرآنية دون غيرها مما قد تكون أكثر صلة بالموضوع، وغيرها من الأمور التي قد تغيب عن المستدل.

خامساً: أسباب ورود الإبهام في القرآن الكريم:

للإبهام في القرآن أسباب عديدة، أبرزها عشرة، وهي: الاستغناء، والاشتهار، والستر، وقلة الفائدة، والعموم، والتعظيم، والتحقير، والمحاكاة والاقتداء، ومراعاة المناسبة والسياق، والدعوة لإعمال الفكر والنظر في كل ذلك، وإليك لمحة عنها:

الأول: الاستغناء عن توضيحه ببيانه في موضع آخر، كقوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة: ٧] أبهموا في هذه الآية، ولكنهم بيّنوا في قوله تعالى: {فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩].

الثاني: الاشتهار: ويكون ترك بيانه لشهرته وكونه معروفاً جلياً، كقوله تعالى: {وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [البقرة: ٣٥] فلم يصرّح باسم الزوجة وهي حواء؛ وذلك لشهرة تعيينها، ولأنه ليس له غيرها.

الثالث: الستر: ويكون المقصد هو الستر على المبهم، وإظهار منّة الله عليه، ليكون أبلغ في استعطافه، وهو كثير في القرآن، كقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ} [آل عمران: ٢٣]، نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت، وكقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [البقرة: ٢٠٤] نزلت في الأخنس بن شريق، الذي أسلم بعد وحسن إسلامه.

الرابع: ألا يكون في تعيينه ووصفه كبير فائدة تتعلق بالمخاطب، كقوله

تعالى {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ} [الأعراف: ١٦٣]، وكقوله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا} [يونس: ٩٨]، وكترك الحديث عن أوصاف وأنواع الدواب، مثل: ناقة صالح، وهدهد سليمان، وكلب أصحاب الكهف.

الخامس: العموم: ويكون القصد من وراء الإبهام إرادة العموم والتنبيه عليه، كي لا يقف الحكم عند المُعين، بخلاف ما لو عُين، كقوله تعالى: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [النساء: ١٠٠]، وكقوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} [البقرة: ٢٧٤].

السادس: التعظيم: ويظهر ذلك في تعظيم الله ﷻ شأن المبهم بالوصف الكامل دون الاسم، حتى يبلغ أن يكون وصفه يغني عن اسمه ولقبه، كقوله تعالى: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ} [التوبة: ٤٠]، وكقوله تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ} [النور: ٢٢]، والمراد أبو بكر الصديق ﵁، وكقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} [البقرة: ٢٠٧]، والمراد: صهيب بن سنان الرومي ﵁، وكقوله: {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا} [الكهف: ٦٥]. والمراد: الخضر.

السابع: التحقير: والقصد من الإبهام تحقير المبهم بالوصف الناقص، لهوانه على الله وعلى الناس، كقوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣]، والمراد: العاصي بن وائل السهمي، وكقوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ} [التوبة: ٥٨] هو ذو الخويصرة، واسمه حرقوص، لما اعترض على النبي ﷺ حين قسم غنائم حنين.

الثامن: المحاكاة والاقتداء في سياق الترغيب والترهيب: فقد يقع الإبهام

أحياناً لأن أمثاله في الناس كُثر، فيكون إبهامه لغرض جعله مثلاً، ليكشف عن طبع أو وضع معين يعرف بالقرائن الظاهرة فيحاكيه الناس فيه إن كان محموداً، ويتقونه إن كان مذموماً، كقوله تعالى: {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ} [البقرة: ١٠٠] نزلت في مالك بن الصّيف، حين بُعث رسول الله ﷺ وذكر لهم ما أُخِذَ عليهم من الميثاق، وما عَهِد الله إليهم فيه، قال: والله ما عُهِد إلينا في محمد عهد، وما أُخِذَ له علينا من ميثاق.

التاسع: مراعاة المناسبة وسياق الكلام: ومن أمثلة ذلك: ما جاء في قصة شعيب عليه السلام، فحين أخبر القرآن عن مدين ذكر أن شعيباً أخوهم فقال: {وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [الأعراف: ٨٥]، وحين أخبر عن أصحاب الأيكة وهم أهل مدين لم يقل: أخاهم {كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧]، والحكمة فيه: أنه لما عرّفهم بالنسب، وهو أخوهم في ذلك النسب، ذكره، ولما عرّفهم بالأيكة التي أصابهم فيها العذاب لم يقل أخاهم؛ حيث أخرجه عنهم.

ومنه قوله تعالى في مخاطبة الكتابيين {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ} [البقرة: ٤٠] ولم يذكروا في القرآن إلا بهذا دون يا بني يعقوب، وسره أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتنبيها من غفلتهم سموا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله، فإن إسرائيل – عبد الله – اسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل، ولهذا لما دعا النبي ﷺ قوما إلى الإسلام يقال لهم بنو عبد الله، قال: يا بني عبد الله إن الله قد حسن اسم أبيكم، يحرضهم بذلك على ما يقتضيه اسمه من العبودية، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال يعقوب، وكان أولى من إسرائيل؛ لأنها موهبة تعقب أخرى وبشرى عقب بها بشرى فقال: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود: ٧١] ، وإن

كان اسم يعقوب عبرانياً لكن لفظه موافق للعربي من العقب والتعقيب، فانظر مشاكلة الاسمين للمقامين فإنه من العجائب.

ومنه: {وَذَا النُّونِ} [الأنبياء: ٨٧] فأضافه إلى الحوت والمراد يونس، وقال في سورة القلم {وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ} [القلم: ٤٨] والإضافة بذي أشرف من الإضافة بصاحب، ولفظ النون أشرف من الحوت، ولذلك وجد في حروف التهجي كقوله {ن وَالْقَلَمِ} [القلم: ١].

العاشر: إعمال العقل، والدعوة إلى النظر والفكر: فوجود المبهم في القرآن يدرب الذهن على كشف خفائه وإزالة إشكاله، ومعرفة أسراره القريبة والبعيدة بقدر الطاقة البشرية وتفاوت مدراك المخاطبين، فالقرآن من شأنه دائماً مخاطبة العقول الواعية، وتدريبها على التأمل والنظر وإدراك الحقائق بالقرائن المتاحة، فبعضها سهل يمكن إدراكه ولا يحتاج إلى كبير إعمال فكر أو إمعان نظر، وبعضها يحتاج إلى مزيد جهد وبحث(١).

سادساً: حُكم البحث في مبهمات القرآن:

يختلف المبهم من حيث جواز البحث عنه وعدمه إلى وجهين:

الأول: مبهمات يجوز البحث عنها، **والثاني** مبهمات لا يجوز البحث عنها.

١) **الوجه الجائز:** ويقصد به المبهمات التي يجوز البحث عنها والوقوف عليها لمعرفة الحكمة من إبهامها، وإظهار بعض الفوائد التفسيرية التي تُعين المفسر على تفسير كلام الله، وتُعين القارئ على التدبر الذي أمر الله به، وقد يكون وراء الإبهام تشويقاً، أو تهويلاً، أو تيسيراً، أو تأنيساً، وأحياناً يُبين فضائل أو يكشف عن رذائل، كما يعتبر علم المبهم داعي

(١) وللمزيد حول هذه الأسباب ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢/ ٤٠٠) (١٤/ ٢٥٨) (١٤/ ٣٠٣)، البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٥٥)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/ ٩٣).

ووسيلة من وسائل الترجيح بين الأقوال إذا تعددت، **ومن أمثلة هذا الوجه الجائز:**

- **مبهمات الأشخاص**، ومثالها قوله تعالى: {وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ} [القصص: ٩]، واسمها آسية بنت مزاحم(١).
- **مبهمات الجموع**، ومثالها قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} [النور: ١١]، هم: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، وعبد الله بن أبيّ، وهو الذي تولى كبره(٢).
- **مبهمات الأماكن**، ومثالها قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ} [الفرقان: ٤٠]، هي قرية لوط عليه السلام(٣)، وقال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف: ٣١] وهما مكة والطائف(٤).
- **مبهمات الأزمنة**، ومثالها قوله تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ} [فاطر: ٣٧]، نعمركم ستين سنة(٥)، وقال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} [البقرة: ١٩٧] هي شوال وذو القعدة وذو الحجة(٦).
- **مبهمات العدد**، ومثالها قوله تعالى: {فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} [البقرة: ٢٤٩] عددهم: ثلثمائة وبضعة عشر(٧)،

---

(١) ينظر: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي (ص٨٠).
(٢) ينظر: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي (ص٧٥).
(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٧٦).
(٤) ينظر: المصدر السابق (ص٩٦).
(٥) ينظر: المصدر السابق (ص٧١).
(٦) ينظر: المصدر السابق (ص٧١).
(٧) ينظر: المصدر السابق (ص٢١).

وقال تعالى: {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ} [الروم: ٣، ٤] هي تسع سنين(١)، وفي قصة يوسف عليه السلام: {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} [يوسف: ٤٢] هي سبع سنين(٢).

٢) **الوجه الممنوع:** ويقصد به المبهمات التي لا يجوز البحث عنها، وهي ما نص القرآن على استئثار الله ﷻ بعلمه، قال تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: ٥٩]، {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: ٦٥]، { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤]، فهذا وأمثاله لا يجوز الخوض فيه، ولا التعرض له، ولا البحث عنه، والوقوف عنده.

وهذا التفصيل مفهوم من كلام الإمام الزركشي في مبحث علم المبهمات حين قال: "لا يبحث فيما أخبر الله باستئثاره بعلمه، كقوله تعالى: {وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال: ٦٠] والعجب ممّن تجرأ وقال: قيل إنهم قريظة، وقيل: من الجن"(٣).

وبيّن الإمام السيوطي جوانب أُخر من أنواع المبهمات عند تعليقه على كلام الإمام الزركشي فقال: "ليس في الآية ما يدل على أن جنسهم لا يُعْلَم، وإنّما المنفيّ علم أعيانهم، ولا ينافيه العلم بكونهم من قريظة أو من الجن،

(١) ينظر: المصدر السابق (ص٨٣).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٥٨).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٥٥).

وهو نظير قوله في المنافقين: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} [التوبة: ١٠١] ، فإنّ المنفيّ علم أعيانهم، ثم القول في أولئك بأنهم بنو قريظة، أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد، والقول بأنهم من الجن، أخرجه ابن أبي حاتم من حديث عبد الله بن عريب عن أبيه مرفوعا عن النّبيّ ﷺ، فلا جرأة"(١). **ثم قسّم الإمام السيوطي المبهم في القرآن على قسمين: الأول:** فيما أُبْهِمَ من رجل أو امرأة أو مَلِك أو مَلَك أو جني أو مثنى أو مجموع عُرِفَ أسماء كلهم أو (مَنْ) أو (الذي) إذا لم يرد به العموم. **الثاني:** في مبهمات الجموع الذين عُرِفَتْ أسماء بعضهم(٢).

تنبيه: لعل بعض الفضلاء يقول: لو كان في ذكر المبهم فائدة لذكره الله تعالى وأظهره، فكف الفك عما سكت عنه القرآن أولى.

ويمكن الإجابة على ذلك بإن هناك قضايا ومسائل كثيرة غير ظاهرة، وسكت عنها القرآن، وكانت محط بحث وأنظار المفسرين وغيرهم من المهتمين بالدراسات القرآنية، ككشف الأسرار في معظم مسائل علوم القرآن، خاصة الأوجه المتعلقة ببلاغة القرآن، كأسرار المتشابه اللفظي، والتقديم والتأخير، ووضع الظاهر موضع المضمر وعكسه، بل ما كُتبت التفاسير والأبحاث وكثرت وتنوعت إلا لإظهار قضايا وأمور سكت عنها القرآن؛ لأن الغالب فيها قائم على اجتهادٍ منضبط بقواعد علمية، واختيارٍ لأرجح الأقوال وأشهرها، مع عدم القطع، لأن ما ورد نصاً وقطعاً مساحته قليلة جداً، مع

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/ ٩٥).

(٢) ينظر: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي (ص٩)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/ ٩٦): ويندرج تحت الجموع في القسم الأول والثاني: مبهم الأزمنة والأمكنة والأقوام والحيوانات والنجوم.

الاعتراف أن هناك تفاوتاً بين مكانة ومنزلة هذه القضايا والمسائل من حيث الأهمية، والأثر، ودوران حُكم بيانها بين الحاجة والضرورة والأصالة لبعضها، وبين الحشو والاستطراد لبعض آخر، لكن الذي نريد أن نؤكد عليه أن علم مبهمات القرآن –ومنها مبهمات الملوك– يُعد من القضايا التي أفردت بالعناية والتصنيف، واشتملت على جملة من الفوائد، والحِكم، والإشارة لبعض المِلح واللطائف والهدايات التي تخاطب بعض الجوانب النفسية والروحية، مع الإقرار أن طرفاً منه فيه شيء من قلة الفائدة.

ولا ننسى أن نذكر أن مجرد الاهتمام بكافة تفاصيل القرآن وألفاظه وقضاياه ومسائله –وإن تفاوتت منازلها وقدرها ومراتبها– فيه إظهار وجه من وجوه الإعجاز، بإثبات كون القرآن الكريم مورداً خصباً لكل ظمآن باحث عن الحق الموصل لمعرفة مراد الله وتدبر كلامه، عن طريق إعمال النظر والفكر والعقل في فهم بعض آيات القرآن، وبذلك يبرز علو شأن المجتهدين، يقول الإمام السيوطي: و"الوجه الثالث والثلاثون من وجوه إعجازه: (ورود آيات مُبهمة يحِيرُ العقل فيها)، وقد أفرده بالتأليف السهيْليّ، ثم ابن عسكر، ثم القاضي بدر الدين ابن جماعة، ولي فيه تأليف لطيف، وكان من السلف من يعتني به كثيراً، ومرجعه للنقل المحض، وسأذكر ما يَسّر الله بعد أن تعلم أن للإبهام أسباباً..." (١).

سابعاً: موقف المفسرين من تعيين المبهمات القرآنية، وأثرها في التفسير:

تَعيين المبهمات وتفسيرها نتج عنه مجموعة من الآثار والظواهر العلمية المتعلقة بالمفسرين وآرائهم وتفاسيرهم، ومن أبرزها:

١) **الاختلاف في التفسير:** فمن أبرز آثار الخوض في علم المبهمات وتعيينها وقوع الاختلاف بين المفسرين عند بيان المبهمات، وتنزيلها على

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (١/ ٣٦٦).

الأشخاص والأحداث والأزمنة والأمكنة، وهذا الخلاف وإن كان بعضه ليس له أثر كبير على مقصود الآية ومرادها وإنما هو شيء زائد وخارج عنها، إلا أنه يترتب عليه أحياناً زيادة في المعاني والفوائد والمِلَح التفسيرية.

٢) **الاشتغال بالترجيح بين أقوال المفسرين:** فأقوال المفسرين المختلفة في بيان المراد من المبهم ينتج عنه أحياناً تعذر حمل الآية عليها جميعاً، وصعوبة الجمع بين الأقوال، خاصة التي ليس عليها دليل ولا يحتملها اللفظ، فيدفع ذلك إلى مناقشة الأقوال وترجيح بعضها وتضعيف الآخر؛ للوقوف على اختيار الصواب، وقد ظهر بعض ذلك في تفسير الإمام الطبري والإمام ابن كثير.

٣) **التوسع في الأخذ من أهل الكتاب:** فمعرفة مبهمات القرآن له أثر بارز في انتشار وشيوع الإسرائيليات في كتب التفسير، وذلك لأن الإسرائيليات تكشف بعضاً من مبهمات القرآن وتبينها، وهذا سبب من أسباب اعتماد المفسرين على مصادر أهل الكتاب التي حوت في طياتها تفصيلاً لبعض المبهمات القرآنية المتعلقة بالأمم السابقة وسكت عنها القرآن وطوى ذكرها أو أشار إليها بإشارات عابرة، لاهتمامه بالجوهر والمقصود والعظة دون الإطالة في التفاصيل والجزئيات، وظهر جانب من ذلك في تفسير الإمام مقاتل بن سليمان والإمام الثعلبي والإمام البغوي.

٤) **الاستطراد أحياناً في ذكر ما لا فائدة فيه:** فمن بين الآثار التي ترتبت على تعيين المبهمات استطراد بعض المفسرين والإطالة في ذكر جملة كبيرة من المبهمات منها ما هو ذو فائدة في فهم وتوجيه النصوص، ودفع الإشكال والغموض واللبس عنها، ومنها ما كانت فائدته وثمرته تكاد لا تذكر، سوى سرد جُلّ الأقوال في بيان المبهم لغرابته، وحباً في تتبع القصص وما تهواه النفوس وتحبذه، كبيان بعض القصص وأسماء

بعض الحيوانات وصفاتها، يقول الإمام الآلوسي: "ووقع خلاف في هذه الشجرة، فقيل: الحنطة، وقيل: النخلة، وقيل: شجرة الكافور، وقيل: التين، وقيل: الحنظل، وقيل: شجرة المحبة، وقيل: شجرة الطبيعة والهوى وقيل، وقيل ... والأولى عدم القطع والتعيين- كما أن الله تعالى لم يعينها باسمها في الآية- ولا أرى ثمرة في تعيين هذه الشجرة"(١).

٥) **العناية بذكر أسباب النزول:** فهناك علاقة مباشرة بين علم المبهمات وعلم أسباب النزول، فأسباب النزول تُعد كاشفة ومبينة لبعض مبهمات القرآن، حتى عدها المفسرون مصدراً من مصادر المبهمات. يقول العلامة الطاهر بن عاشور: "إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه؛ لأن فيها بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيراً، ومنها ما يدل المفسر على طلب الأدلة التي بها تأويل الآية أو نحو ذلك... وقد تصفحت أسباب النزول التي صحت أسانيدها فوجدتها خمسة أقسام: الأول: هو المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه فلا بد من البحث عنه للمفسر، وهذا منه تفسير مبهمات القرآن"(٢).

٦) **الوقوف على مناقب المبهمين أو مثالبهم:** فإن كان الشخص المبهم من أهل الإيمان والخير والصلاح عُدّ هذا ثناء عليه، وشهادة له بالخير والفضل وحسن العمل، وترغيباً في مسلكه، ودعوة للاقتداء به والسير على دربه، وإن كان الشخص المبهم من أهل العصيان والمخالفة عُدّ هذا قدحاً فيه، ومثلبة في حقه، وانتقاصاً من قدره، وترهيباً من صفاته ومسلكه ومآله.

---

(١) روح المعاني للآلوسي (١/ ٢٣٦).

(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (١/ ٤٧).

٧) **بيان مدى اعتناء المفسرين بكل ما حواه القرآن:** فالبحث عن المبهمات والوقوف عليها يبرز جانباً من جوانب منهاج بعض المفسرين، ومدى تمكنهم من بعض العلوم، واستيعاب أوجه الاستدلال والاستنباط من القرآن والسنة والآثار واللغة، واعتبار الاختلاف وتنوع الأقوال وكيفية الجمع بينها والنظر فيها، واعتبار ظاهر السياق والنص واحتمال المعنى لها، والإطالة والاختصار، والإحالة والتخريج، والتعرض لبعض الحِكم والمواعظ والدروس وأوجه البلاغة من وراء إيراد هذه المبهمات، والتي بدورها تفضي أحياناً إلى معرفة الحكمة من التشريع، فتدفع الهمم وتحثها على الاجتهاد والبحث والتقصي والتفقه في الدين ثم العمل بما فيه، وكان على رأس هؤلاء المفسرين: الإمام الطبري، والثعلبي، ومكي، وابن كثير، والطاهر ابن عاشور، وسيد طنطاوي، والزحيلي(١).

---

(١) وللمزيد ينظر: آثار تعيين مبهمات القرآن في التفسير لعادل شواش (ص٧٩٩).

المبحث الثاني

حديث القرآن عن الملوك.

إن حديث القرآن عن الملوك وأحوالهم في ممالكهم ومع بطانتهم ورعيتهم ذو شجون، ومجال البحث فيه واسع للغاية، ولعل في هذه الوُرَيْقات نتطرق إلى لمحات خاطفة وإشارات سريعة حولهم، نشير فيها إلى معنى كلمة (المَلِك) لغةً، واصطلاحاً، وكيفية ورودها في الاستعمال القرآني، والغاية من ذكرهم، **وإليك بيان ذلك:**

أولاً: الـملِك في اللغة: مفرد (مُلُوك)، وهو صفة مشبَّهة من (ملَكَ) تدلّ على الثبوت، **ويدور معناه حول:** القوة، والقدرة، والاستيلاء، والحيازة للشيء، والاستبداد به، وكمال امتلاكه والتصرف فيه(١).

ثانياً: الـملِك في الاصطلاح: له إطلاقان:

- **إطلاق عام:** يقصد به: السلطان صاحب الأمر والسّلطة على أمّة أو قبيلة أو بلاد، وهو شخص يَحكم أو يَتولّى الملك في منطقة بحكم الوراثة ولمدى الحياة.
- **إطلاق خاص:** يقصد به: اسم من أسماء الله الحسنى، **ومعناه:** الظّاهر بعزّ سلطانه، الذي يُعز ويولي من يشاء ويذل من يشاء، ويستحيل عليه الإذلال والعزل، فهو المنفرد بالعز والسلطان، المُتصرّف في كلّ الأشياء بأمره ونهيه بلا ممانعة ولا مدافعة، صاحب المُلك المُطلَق، الذي يستغنى في ذاته وصفاته عن كلِّ موجود، قال تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ} [الزمر: ٦]، {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ} [الحشر: ٢٣](٢).

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (ملك) (٥/ ٣٥١)، لسان العرب لابن منظور، مادة (ملك) (١٠/ ٤٩٢)، معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار، مادة (ملك) (٣/ ٢١٢٣).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٧٩)، التعريفات للجرجاني (ص٢٢٨)، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص٣١٤)، روح المعاني للآلوسي (١٤/ ٢٥٦).

ثالثاً: (**الـمَلِك**) **في الاستعمال القرآني**:

وردت كلمة (مُلك) و(مَلِك) في آيات كثيرة من القرآن الكريم، معظمها في إثبات المُلك لله ﷻ مطلقاً[1]، أو مضافةً إلى بعض خلقه ﷻ كالسماوات والأرض[2]، والبقية وارد في إثبات المُلك لبعض البشر، وصدق الله إذ يقول: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦].

وقد حوى القرآن في طياته ذِكرٌ لمجموعة من الملوك الذين منحهم الله ﷻ مقاليد الحكم في برهة من الزمن، على طائفة من خلقه ﷻ، في بقعة من أرضه؛ لينظر كيف يحكمون، **وقد بلغ عدد الملوك إجمالاً في القرآن** ثلاثة عشرة ملكاً، **صرح بأسماء** خمسة منهم، وهم: داوود، وطالوت، وجالوت، وسليمان، ويوسف، **وأبهم أسماء** ثمانية منهم وهم: الملك الذي حاج إبراهيم عليه السلام، وذو القرنين، وملك مصر أيام يوسف عليه السلام، وفرعون، وملك موسى والخضر، وملكة سبأ، وملك قوم تبع، وملك أصحاب الاخدود، فضلاً عن لمحات عن بعض الممالك وملوكم، كملك آل إبراهيم، وملوك بني إسرائيل، والملوك المفسدون على لسان ملكة سبأ. **وإليك الآيات الدالة على ذلك:**

---

(١) قال تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: ١١٤]، {ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ} [الزمر: ٦]، {يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر: ١٦]، {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الحشر: ٢٣].

(٢) قال تعالى: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ٢]، {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} [الشورى: ٤٩]، {وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزخرف: ٨٥]، {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [البروج: ٩].

١) الملوك المصرح بأسمائهم في القرآن الكريم، هم:

- **جالوت:** هو ملك كافر، سلب ملك بني إسرائيل: قال تعالى: {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١].
- **طالوت،** وهو أحد ملوك بني إسرائيل المؤمنين، قال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٤٧]
- **نبي الله داوود** عليه السلام، قال تعالى: {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: ٢٥١]. {اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} [ص: ١٧ - ٢٠]. {يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: ٢٦].
- **نبي الله سليمان** عليه السلام، قال تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} [البقرة: ١٠٢]، {وَلَقَدْ فَتَنَّا

سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [ص: ٣٤، ٣٥].

- **نبي الله يوسف** عليه السلام، قال تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: ١٠٠، ١٠١].

٢) الملوك المبهمة أسماؤهم في القرآن الكريم:

أما عن الملوك المبهمة أسماؤهم في القرآن الكريم، فالمبحث التالي بعنوان (نماذج تطبيقية لمبهمات الملوك في القرآن) يشير إلى طرف من حديث القرآن عنهم، مع مجموعة من أقوال أهل التفسير وعلوم القرآن والسير والتاريخ والأخبار حولهم.

رابعاً: الغاية من ذكر الملوك وأحوالهم في القرآن الكريم:

١. التنبيه على بعض العِبر والعظات والدروس المستفادة، كما قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف: ١١١].
٢. إيضاح بعض المناهج والأهداف التعليمة والتربوية والأخلاقية والطرق القويمة التي يُفَضّل أن ينتهجها المسلم، ويَسِير عليها.
٣. إبراز دور القيادة وسياسة الحكم والإدارة الناجحة أو الفاسدة في حياة الناس، وأثرها على المُلك وصاحبه، ثم على الفرد والمجتمع.
٤. التأكيد على أن الملك وسيلة لتحقيق هدف نبيل وغاية عظيمة وهي نشر دين الله عز وجل، وحفظه، والدفاع عنه، وإقامة أوامره سبحانه وتعالى، وتنفيذ أحكامه وشرائعه فوق هذه الأرض: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: ٤١].

٥. الإشارة إلى أهم دعائم الملك وهي إقامة العدل ورفع الظلم، والعمل بالشورى، ونشر الخير، وإعمار الأرض، والتوسعة على الناس، والدعوة إلى جمع الكلمة والصف ونبذ الفرقة.

٦. الإشارة إلى أهم أسباب الطغيان والضلال وهما الاغترار بالسلطة والمال، فبأحدهما أو باجتماعهما تحصل الفتن، ويعم الاختلاف والتفرق والعداوة، وتزيف الحقائق، ويستشري الكذب والافتراء والصد عن سبيل الله، وتزول النعم، ويحل الخسران والخراب، وينزل العذاب.

٧. إبراز مدى اهتمام القرآن بالتاريخ، وحال الأنبياء والأمم السابقة وملوكهم، وما حوته هذه الأحداث والأزمنة والأمكنة من إشارات وأخبار علمية وتاريخية وكونية تدعو إلى النظر والتدبر والتفكر لإثبات إعجاز القرآن.

٨. التنبيه على سنة من سنن الله الكونية، من أن وجود مجموعات من الناس على هذه الأرض يُحتم وجود سلطان قائم على تصريف شؤونهم وحياتهم، ويُعينهم على الخير ويدفع عنهم الشر والفساد، فيقع التدافع والتنازع الذي يحصل به قهر المُلك وثباته، أو ضعفه ونزعه وزواله، كما قال تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: ٢٥١]، {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: ٤٠](١).

(١) وللمزيد ينظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة لعبد الكريم زيدان (٦/١).

المبحث الثالث

نماذج تطبيقية لمبهمات الملوك في القرآن.

ساق القرآن الكريم في مواضع عديدة مجموعة من الآيات المتحدثة عن بعض الملوك المبهمة أسماؤهم، مشيراً إلى بعض شؤنهم، وأحوال ممالكهم، ورعيتهم، بشيء من السرد والتفصيل أحياناً، ومرات ينحو جانب الاختصار والإجمال، والصفحات التالية تسلط الضوء على ثمانية من الملوك(١)، عن طريق إبراز الآيات الواردة في شأنهم، وبيان محل الإبهام، ونقل أقوى ما ذكر في الكشف عن الاسم والزمان والمكان، ثم إلقاء نظرة على سياق وأحداث الآيات، ثم استنباط مجموعة من الحِكم والأسباب والعظات، مراعياً التسلسل والسرد التاريخي والزمني لهؤلاء الملوك من عصر آدم عليه السلام إلى عصر النبوة المحمدية، ثم أختم بلمحات عن بعض الممالك وملوكم، **وفيما يلي تفصيل لما ذكر:**

النموذج الأول: الملك الذي حاج إبراهيم عليه السلام

الآيات في شأنه ومحل الإبهام:

لم يرد ذكره في القرآن الكريم إلا في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ٢٥٨].

---

(١) وهم: الملك الذي حاج إبراهيم عليه السلام، وذو القرنين، وملك مصر أيام يوسف عليه السلام، وفرعون، وملك موسى والخضر، وملكة سبأ، وملك قوم تبع، وملك أصحاب الاخدود، فضلاً عن لمحات عن بعض الممالك وملوكم، كملك آل إبراهيم، وملوك بني إسرائيل، والملوك المفسدون على لسان ملكة سبأ.

اسمه وزمانه ومكانه:

اسمه: النمروذ[١] بن كنعان بن كوش، من ولد سام بن نوح عليه السلام، وهو أول ملك بغى وتجبر في الأرض، وأول من وضع التَّاجَ على رأسه، وكان مقر مُلكه في بابل بالعراق، واستمر مُلكه ما يقرب من (٤٠٠) سنة، وعاصره خليل الله إبراهيم.[٢] عليه السلام

نظرة في السياق والأحداث:

مع قوة البراهين والحجج الدامغة المظهرة للحق على يد نبي الله إبراهيم عليه السلام أصر هذا الطاغية المعاند على الجدال، والمماطلة في الباطل والغي، ومخالفة العقل، وادعى العلم والربوبية وما ليس في مقدوره، واغتر بملكه وسطوته، وكفر بنعمة ربه عليه.

فحينما دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وحدَه، حملَه الجهلُ والضَّلالُ على إنكار الله عز وجل، وغره إيتاء الملك وأبطره وأورثه الكبر، فحاجَّ إبراهيمَ الخليلَ لذلك، وكان الواجب عليه الشكر على هذا الإيتاء، فلما قال الخليل: {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}، وأتى برجلين قد تحتَّم قَتْلُهما، فأمرَ بقتل أحدهما وعفا عن الآخر، فكأنَّه قد أحيا هذا وأمات الآخر، وهذا ليس بمعارضة للخليل، بل هو كلام خارجيٌّ عن مقام المناظرة، بل هو تشغيب محض، وبُعد عن الحقيقة، فإن الخليلَ استدلَّ على وجود الصانع بحدوثِ هذه المشاهداتِ، ولا بدَّ من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة مِن خَلْقِها، وتسخيرها، وتسييرها، ثم إماتتُها، فإبراهيم أراد أن الله هو الذي يخلق وينشأ

(١) ويروى بالدال، النمرود.

(٢) وللمزيد ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٢١٥)، تاريخ الرسل والملوك للطبري (١/ ٢٣٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (١/ ٣٤٥)، تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي (ص٣٣١)، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لابن خلدون (٢/ ٣٨).

الحياة والموت في الأشياء، لكن النمروذ كابرَ وعاندَ، ولم يقلْ شيئًا يتعلَّقُ بكلام الخليل؛ وكانت معارضته بالإشراك في العبارة والمماثلة اللفظية، دون حقيقة المعنى، إذ لم يمنع مُقدِّمة، ولا عارضَ الدليل .

لكن الخليل آثر ترك فتح باب الجدال والمحاورة، وأتاه بحجة هي غاية في الإفحام، فذكرَ دليلًا آخرَ بيَّنَ وجودَ الله، وبُطلان ما ادَّعاه النمروذ، فقال: هذه الشمس مُسخَّرةٌ كلَّ يوم تطلعُ من المشرقِ كما سخَّرها خالقُها ومُسَيرُها، وهو الله خالقُ كل شيء، فإن كنتَ كما زعمتَ فأتِ بهذه الشمس من المغرب، فإن الذي يُحيي ويُميت هو الذي يفعلُ ما يشاءُ، ولا يُمانَع ولا يُغالب، فإن لم تفعله فلستَ كما زَعمْتَ، فبيَّن ضلالَه وجهلَه وكذبَه فيما ادَّعاه، ولم يبق له كلامٌ يُجيب الخليلَ به، بل امتنعَ وسكتَ وغُلب وقُهر، وجعله الله متحيراً منقطعاً إكراماً لنبيه وإظهاراً لدينه، ولهذا قال: {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}

وهذه المناظرة قد وقعت بين إبراهيم ﷺ والنمروذ بعد خروج إبراهيم من النار، ولم يكن اجتمع بالملك، إلا في ذلك اليوم.

نهاية هذا المَلك: بعد طول إمهال من الله له، وإرسال من يذكره، واستدراجه بالنعم الكثيرة، أنكر وتكبر وتجبر، وزين له الشيطان سوء عمله، وأعلن محاربة الله، فحلت به العقوبة، وأرسلَ الله عليه وعلى جيشه وجنوده أسراب من البَعوض، فأكلتْ لحومَهم، وشربت دماءهم، وتركتْهم عظامًا باليةً، ودخلتْ واحدة منها في مِنْخر المَلكِ، واستقرت في دماغه، فأكلته حتى صارت مثل الفأرة، فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عتيدة لذلك، وبقي في البلاء أربعين يوماً حتى أهلكه الله ﷻ بها.[(١)]

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٥/ ٤٣٢)، البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢١٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/ ٢٨٣)، روح المعاني للآلوسي (٢/ ١٦).

الحِكم والأسباب والعظات:

- إبهام اسم الملك –النمروذ– كان للتحقير والتقليل من شأنه، بسبب ما بدر منه من مماطلة وتكبر وغي وضلال ورفض للحق.
- في الإبهام إشارة إلى العموم والترهيب، وليكون مثلاً يُذكر في جانب أهل الخذلان عبر الأزمان، بسبب إنكار نعمة الله، واستعمالها في غير موضعها، مع إن النعمة مدعاة للشكر، فأصبح ما كان سبباً في الطاعة سبباً في المعصية والطغيان.
- هذا الملك قد خالف الحق والهدى، وظن أن ملكه ذاتياً من عند نفسه، فأبدل شكر نعمة إيتاء الملك والاعتراف بفضل الله ومنته عليه بالكبر، والجهل، والعناد، وإنكار السنن والحقائق الكونية التي لا ينكرها صاحب إدراك ونظر، ولذلك عبر الله ﷻ بقوله: {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} للإشعار بأن العلة وسبب الحيرة هو كفره، ولو قال: فبهت الكافر لما أدى ذلك المعنى.
- الاغترار بالملك والقوة والسلطة، واتباع نوازع النفس البشرية دوافع حتمية للاعتداء، والعبث بحياة الناس وأرواحهم، وسلب حقوقهم ومصالحهم، والبعد عن طريق العدل.
- من السنن الإلهية الداعية إلى حماية الأرض من الفساد، وحفظ من عليها، المناظرات والمواجهات بين الحق والباطل، والمجادلات في الدين بإقامة الحجج والبراهين، ليميز الله الخبيث من الطيب.
- خروج إبراهيم عليه السلام من النار، ومناظرته للنمروذ يُعد نصراً لخليل الله إبراهيم بعد نصر، وهكذا تتوالى الانتصارات لأولياء الله، وتتعاقب الهزائم لأعدائه سبحانه وتعالى، وتبدو مواقف الخذلان لهم لكل ناظر عاقل متأمل، كما قال تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} [الأنبياء: ١٨].

النموذج الثاني: **ذو القرنين**.

الآيات في شأنه ومحل الإبهام:

ورد ذكره ثلاث مرات متتاليات في سياق واحد في أواخر سورة الكهف، وهي قوله تعالى:

١) قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف: ٨٣]

٢) قوله تعالى: {قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا} [الكهف: ٨٦]

٣) قوله تعالى: {قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} [الكهف: ٩٤]

اسمه وزمانه ومكانه:

اسمه: اختلف في تسميته اختلافاً كبيراً[(١)]، والأشهر أن اسمه الإسكندر، والظاهر من علم الأخبار أنّهما اثنان، الأول كان على عهد إبراهيم عليه السلام، بعد النمروذ، والآخر كان قريباً من عهد عيسى عليه السلام، وفرَّق الإمام ابن كثير بين الإسكندر الذي يُقال إنه ذو القرنين المذكور في القرآن وبين الإسكندر المقدوني باني الإسكندرية، ويُدعي أيضاً ذا القرنين، فالأول كانَ عبدًا مؤمنًا

(١) قصة ذو القرنين تدور حول شخصية أثارت اهتمامات الفلاسفة والمفسرين والباحثين منذ القدم، وقد بُذلت جهود ومساعي كثيرة للتعرُّف على هذه الشخصية، يقول العلامة الطاهر ابن عاشور: "اختلف المفسرون في تعيين المسمى بذي القرنين اختلافا كثيراً، تفرقت بهم فيه أخبار قصصية وأخبار تاريخية واسترواح من الاشتقاقات اللفظية، ولعل اختلافهم له مزيد اتصال باختلاف القصاصين الذين عنوا بأحوال الفاتحين عناية تخليط لا عناية تحقيق فراموا تطبيق هذه القصة عليها". ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (١٦/ ١٨).

صالحًا وملكًا عادلًا معتقداً بصحة البعث والحساب، وكان وزيره الخضر. وأما الثاني فكان مشركًا وثنياً وكان تلميذ أرسطو الفيلسوف، وملك الدنيا قبل الميلاد بنحو ٣٣٠ سنة، وقد كان بين زمانهما أزيد من ألفي سنة، فأين هذا من هذا؟ لا يستويان ولا يشتبهان إلا على من لا يعرف حقائق الأمور! ولعل جماعة من الملوك تسموا بذي القرنين تشبهاً بالأول، والله أعلم .(١)

لقبه: ذو القرنين ليس اسماً، وإنما هو لقبٌ، ولقد ذكر في سبب تلقيبه بذي القرنين وجوهاً منها :

- أن فتوحاته بلغت قرني الشمس شرقاً وغرباً، وملك ما بينهما من الأرض، وقد دل القرآن على أن ملكه بلغ أقصى المغرب، وأقصى المشرق، وجهة الشمال، وذلك تمام المعمورة من الأرض.
- أن ذا القرنين رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها، فلما قص رؤياه على قومه لقبوه به.
- كان له تاج ذو قرنين، وقيل: هما شبه قرني الكبش من نحاس كانا في خوذته، وقيل: كان في رأسه شبه القرنين تحت عمامته.
- أنه عمَّر حتى فني في زمنه قرنان من الناس، وهو حي.
- كانت له –غديرتان– ضفيرتان، وكل ضفيرة من ضفائر الشعر قرن(٢).

وفي الحقيقة، لا يوجد تعارض بين أغلب هذه الأقوال، فلعله قد اجتمعت فيه أكثر من صفة في آن واحد.

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٥٤٢)، صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل للبلنسي (٢/ ١٨٢).

(٢) وللمزيد ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٩)، البدء والتاريخ للمطهر المقدسي (٣/ ٧٨)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٣/ ٥٣٨)، صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل للبلنسي (٢/ ١٨٢).

وقد تعددت الأقوال حول مكان سد ذي القرنين، وهل تم هدمه أم لا، فقيل هو سد بالقرب من تركيا، وقيل في خورسان بالعراق، وقيل في الصين، وقيل في جورجيا بجبال القوقاز، والأقرب أن مكانه بالتحديد لا يعلمه إلا الله، وأنه باقي إلى نهاية الدنيا، وهو المقصود بسد يأجوج ومأجوج، وفي هدمه علامة من علامات الساعة، لأن الله قد وصفه بـ {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} [الكهف: ٩٥]، ووصف النبي ﷺ سد يأجوج ومأجوج بذلك أيضاً فقال: "ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها.(١)"

نظرة في السياق والأحداث:

ذكر القرآن الكريم طرفاً من رحلاته وأحواله مع الناس، فهو ملك مؤمن عادل موحد، وهبه الله التمكين، ويسر له الأسباب، وسخر الكون لخدمته، فحكم بالحق ودين الله، وأقام العدل، وشكر ربه، ونسب الفضل له سبحانه، وكان يخرج بنفسه للقتال ومحاربة المخالفين، ورد الاعتداء عن الضعفاء، وصد الكافرين، وإرشاد أهل الضلال لطرق الهداية، ونصرة أهل الإيمان، والدعوة لدين رب العالمين، والقيام على مصالح العباد وتذليل العقبات لهم ليهنؤوا بعيش طيب، ويتفرغوا للعبادة والطاعة والتفكر في نعم الله، ومعرفة فضل الله عليهم .(٢)

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: أحاديث الأنبياء – باب: قصة يأجوج ومأجوج – رقم: ٣٣٤٦ – (٤/ ١٣٨).

(٢) قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا *
=

وقد روي في بيان تفاصيل رحلات ذي القرنين الثلاثة وما سخره الله ﷻ فيها أثار وروايات وإسرائيليات كثيرة وطويلة، حتى قال عنها الإمام ابن كثير: "وقد ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلاً عجيبًا في سير ذي القرنين، وبنائه السد، وكيفية ما جرى له، وفيه طول وغرابة ونكارة في أشكالهم وصفاتهم، وطولهم وقصر بعضهم، وآذانهم. وروى ابن أبي حاتم أحاديث غريبة في ذلك لا تصح أسانيدها، والله أعلم(١)"

وتُعد قصة ذي القرنين القصة الخامسة من قصص سورة الكهف(٢)، وإحدى المسائل الثلاث التي سأل عنها المشركون المكيون بتوجيه من اليهود بقصد إحراج وامتحان النبي ﷺ، فقد ورد في أسباب النزول أن اليهود أمروا المشركين من قريش أن يسألوا رسول الله ﷺ عن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، وعن الروح .(٣)

=

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} [الكهف: ٨٦ – ٩٧].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ١٩٥).

(٢) هذه هي القصة الخامسة من القصص المذكورة في هذه السورة، وقد وردت بعد قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحبي الجنة، وقصة أمر الملائكة بالسجود لآدم وإباء إبليس، وقصة موسى والخضر، ولما كانت قصة موسى مع الخضر مشتملة على الرحلات من أجل العلم، وكانت قصة ذي القرنين مشتملة على الرحلات من أجل الجهاد في سبيل الله، وكان العلم أساس الجهاد تقدمت قصة موسى والخضر على قصة ذي القرنين. ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٢/ ١٢٨)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ٥٦٩).

(٣) ينظر: أسباب النزول القرآن للواحدي (ص٢٩١).

ومعنى الآيات: ويسألك المكيون القرشيون عن خبر ذي القرنين، سؤال اختبار وتعنّت، لا سؤال تأدّب وتعلّم، فقل لهم: سأخبركم عنه خبراً مذكوراً في القرآن، بطريق الوحي الثابت المنزل عليّ من ربي، فإن الله تعالى مكّن لذي القرنين، وآتاه ملكاً عظيماً بلغ المشرق والمغرب، وأعطاه من كل ما يتعلق بمطلوبه طريقاً يتوصل به إلى ما يريده، ويحقق أهدافه، فاتبع طريقاً من الطرق المؤدية إلى مراده، حتى إذا وصل نهاية الأرض من جهة المغرب، ولم يبق بعدها إلا البحر، وسار في بلاد المغرب العربي، فوجد الشمس تغرب في عين ذات طين أسود، ووجد في أقصى الغرب عند تلك العين الحمئة قوماً كفاراً وأمة عظيمة، فقال الله له: أنت مخير بين أمرين: إما أن تعذب هؤلاء بالقتل إن أصروا على الكفر، وإما أن تحسن إليهم وتصبر عليهم بدعوتهم إلى الحق والهداية الربانية، وتعليمهم الشرائع والأحكام. فقال ذو القرنين لبعض حاشيته: أما من ظلم نفسه بالإصرار على الشرك، ولم يقبل دعوتي إلى الحق، فسنعذبه بالقتل في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه في الآخرة، فيعذبه عذابا منكرا شديدا، في نار جهنم، وأما من آمن بالله رباً واحداً لا شريك له، وعمل العمل الصالح الذي يقتضيه الإيمان، فله الجزاء الحسن، وهو الجنة، وسنطلب منه أمراً ذا يسر وسهولة، ليرغب في دين الله والتزام أوامره.

ثم سلك ذو القرنين طريقاً آخر، متجها من المغرب إلى المشرق، حتى إذا وصل لمكان شروق الشمس من المعمورة، وجد الشمس تطلع على قوم حفاة عراة، لا شيء يسترهم من حر الشمس، ولم يجد عندهم بيوتاً، ولا مأوى لهم، ولا شجر، يعتمدون في المعيشة على السمك وما جاء به البحر. ولم تنته رحلة الملك الصالح ذي القرنين في سبيل الله ومرضاته، فهو لم يترك مكاناً إلا زاره، حاملاً أصول الحضارة والمدنية والأخلاق، ومبلّغاً الناس ما يؤمن به، ومصلحاً ما يمكنه إصلاحه في دائرة ملكه الواسع العريض، وقائما بما

منحه إياه ربه من مقتضى الحكمة والعلم النافع، فبعد أن وصل المشرق والمغرب، اتجه من الشرق إلى الشمال، فاستنجد به أقوام الشمال، فأعانهم مخلصاً لله من غير أجر ولا عوض، وبنى لهم سداً عظيماً بينهم وبين يأجوج ومأجوج، ثم قال: هذا السد نعمة، وأثر من آثار رحمة ربي بهؤلاء القوم الضعفاء، فإذا حان أجل ربي وميعاده بخروجهم من وراء السدّ، جعله ربي مدكوكاً منهدماً، مستوياً ملصقاً بالأرض، وكان وعد ربي بخرابه، وخروج يأجوج ومأجوج، وبكل ما وعد به حقاً ثابتاً لا يتخلف، كائناً لا محالة.[١]

وقد اختلف في نبوته، والتوقف فيها أسلم؛ لأنها تحتاج إلى أدلة واضحة قاطعة، والأقرب أنه عبد صالح مَلَك الأرض برهة من الزمن، وهبه الله ﷻ فيها التمكين وتيسير كل الأسباب، حتى بلغ ملكه ما بين المشرق والمغرب: قال تعالى: {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} [الكهف: ٨٤]، {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ} [الكهف: ٨٦]، {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ} [الكهف: ٩٠]، {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ} [الكهف: ٩٥]، {قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف: ٩٨]، وقال علي رضي الله عنه: "كان عبداً صالحاً أحب الله تعالى فأحبه، ونصح الله تعالى فنصحه"[٢]، وقال ابن عباس رضي الله عنه: "كان ذو القرنين مَلِكاً صالحاً، رضي الله عمله، وأثنى عليه في كتابه، وكان منصوراً."[٣]

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٨/ ٩٢)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (١٦/ ١٨).

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٦/ ٤٤٤٧).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٥٣٧).

الحِكم والأسباب والعظات:

- إبهام اسم ذي القرنين وإظهار لقبه يقصد به: تعظيمه بالوصف الحسن، وجعله مثالاً وقدوة للحاكم الصالح العادل على مر الأزمنة والعصور، مع مناسبة هذا الوصف لسعة ملكه وتمكينه في الدنيا، حيث ملك ما بين قرني الشمس.
- الطريق الصحيح لإعمار الأرض والنهوض بالأمة هو تقوية جانب العقيدة المتمثل في التوحيد والإيمان، والذي بدوره سيدفع إلى شكر المُنعم، والاعتراف بفضله، والتعفف عما في أيدي الناس.
- من سمات المَلِك الحق الجمع بين الفتوحات العظيمة بالسيف والقتال في سبيل الله، وفتوحات القلوب بالإيمان والتقوى والعلم والعدل والإحسان والفضل، وتحقيق المصالح وخدمة الخليقة، فَيُوفَّق بذلك إلى تثبيت حكمه، والتمكن من رعيته، ودفعهم إلى العمل، وإدخال الهيبة والخوف في قلوب أهل الغواية والفساد.
- أهل الإيمان والإخلاص والصلاح يحرصون على إنجاز الأعمال ابتغاء وجه الله، دون انتظار مقابل أو عوض دنيوي من الناس، وحين يصدر ذلك من قائد مؤمن يصبح الأتباعُ مطيعين مجتهدين، وتظهر آثار الإتقان في الأعمال.
- طواف ذي القرنين في أنحاء الأرض له أثر كبير في التاريخ، لأنه مؤيد بمعونة الله، وهدفه مقاومة الفساد، وغرس أصول الإيمان والحق، وحمل الناس على منهج الإصلاح، فحين يجد المحسن جزاء إحسانه إكرامًا وتقديرًا، ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة وإهانة؛ عندئذ يرى الناس ما يحفِّزُهم إلى الصلاح والإنتاج، فنِعم الملِكُ الذي يبسط في رعيَّته عدله، ويستجيب لشكواهم، فيحقِّق لهم الراحة والأمان، ويصون مجتمعهم عن البؤس والخراب.

- بعض القصص تتحدث عن مسائل خاصة وفريدة لن تتكرر، فيحتاج الأمر إلى تحديد أصحابها بأسمائهم، كما في قصة مريم بنت عمران؛ لأن ما سيحدث لها مسألة خاصة بها، لن تحدث بعدها أبداً في بنات آدم. وأحياناً يكون تشخيص حادثة القصة باسم محدد يقلل من تأثيرها، ويصبغها بصبغة شخصية فردية لا تتعدى إلى الغير، فيُبهَم الاسم ليكون نموذجاً وأسوة يحتذي به كل أحد، لأنه صالح لأن يتكرر في أي زمان ومكان، كما في قصة أهل الكهف، أبهم الاسم، والزمان، والمكان، والعدد، ليكونوا أسوة وقدوة للمؤمنين في أي زمان، وفي أي مكان، وبأي عدد، فلكلِّ مقام مقال؛ ففي بعض مواضع الحديث يحسُن الإيجاز والإبهام الموافِق لمقتضى الحال، وفي مواضع أخرى يحسن التصريح والتفصيل غيرُ المؤدي إلى الإملال.
- على الرغم من ضخامة ما قام به الملِك لم يأخذه البطر، ولكنه شكر ربه، ونسب إليه التوفيق، متبرّئًا إليه من حوله وقوّته، فلا ينسى العبدُ الصالح وهو في أوج نجاحاته قوّةَ ربِّه ﷻ وجبروته، ولا يغفل عن حقيقة أن مردَّه ومرجعه إلى الله وحده.

النموذج الثالث: **ملك مصر في عهد يوسف** عليه السلام

الآيات في شأنه ومحل الإبهام:

لم يصرح القرآن باسمه، ولا بإيمانه ولا بكفره، لكنه ورد بلفظ الملك في خمس آيات من سورة يوسف، وهي:

١. {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف: ٤٣].

٢. {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٠].

٣. {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} [يوسف: ٥٤].

٤. {قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} [يوسف: ٧٢].

٥. {فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ[1] إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} [يوسف: ٧٦].

اسمه وزمانه ومكانه:

اسمه: الريان بن الوليد، من أولاد سام بن نوح، آمَن وَاتَّبع يوسف عليه السلام على دِينه، ثُم مات ويوسف بَعْدُ حَيٌّ.

وسماه القرآن ملكاً ولم يسمه فرعوناً؛ لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر المصريين –القبط–، وإنما كان ملكاً لمصر أيام حكم الهكسوس، بعد أن أغاروا على مصر وانتصروا على الفراعنة، ويعبر عنهم المؤرخون بملوك الرعاة الرحالين، أي البدو، وهم من العرب، وقد ملكوا

(١) {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ} أي: دبرنا ليوسف ما يوصله إلى غرضه ومقصده، وهو احتجاز أخيه بنيامين معه، بأن ألهمناه بأن يضع السقاية في رحل أخيه، وبأن يسأل إخوته عن حكم السارق في شريعتهم، وما كان يوسف ليستطيع أن يحتجز أخاه معه لو نفذ شريعة وحكم ونظام ملك مصر؛ لأن شريعته لا تجيز استرقاق السارق سَنَة كما هو الحال في شريعة يعقوب، وإنما تُعاقب السارق بضربه وتغريمه قيمة ما سرقه، وما كان يوسف ليفعل كل ذلك التدبير الحكيم في حال من الأحوال، إلا في حال مشيئة الله ومعونته وإذنه بذلك، فهو ﷻ الذي ألهمه أن يدس السقاية في رحل أخيه، وهو ﷻ الذي ألهمه أن يسأل إخوته عن عقوبة السارق في شريعتهم حتى يطبقها على من يوجد صواع الملك في رحله منهم. ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٣٩٩).

مصر من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٥٢٥ قبل ميلاد المسيح ﷵ، وكان عصرهم فيما بين مدة العائلة الثالثة عشرة والعائلة الثامنة عشرة من ملوك القبط، ويقدر المؤرخون أن ملك مصر في زمن يوسف ﷵ كان في مدة العائلة السابعة عشرة. **فعرفنا** أن حكم الفراعنة قد اختفى لفترة؛ حين استعمر مصر ملوك الرعاة الهكسوس، وكانت هذه هي الفترة التي ظهر فيها يوسف ﷵ وعمل معهم، فلما استرجع الفراعنة حكم مصر طردوا الهكسوس، وقتلوا من كانوا يوالونه، وبدأ العهد الملكي الجديد، الذي عاصره نبي الله موسى ﷵ، وكانوا يستعملون لفظ ولقب فرعون للاحترام والتقدير.

وبالتالي: فالتعبير بالملك في القرآن دون التعبير بفرعون هو من دقائق إعجاز القرآن العلمي.[(١)]

نظرة في السياق والأحداث:

لم يُسهب القرآن الكريم في وصف حاله وسرد قصته، بل اكتفى بلمحات تبرز إنصافه، واهتمامه برد الحقوق ورفع المظالم، وعدم الاستبداد، وحرصه على إقامة ميزان العدل، والشورى، وتقريب أهل العلم والفضل وذوي الخبرة وسؤالهم والاستعانة بهم وجعلهم في بطانته، والتوسعة على الناس وإحلال الأمن بينهم، فأخرج يوسف من سجنه، وأظهر براءته أمام الناس، وأعلى شأنه، وأعطاه ما أراد من السلطة وتصريف خزائن مصر، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف: ٤٣] {قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ

(١) وللمزيد ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٣٦)، فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم المؤرخ (ص٣٣)، تاريخ الرسل والملوك للطبري (١/ ٣٣٦)، البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٤٧٩)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١/ ٣١١)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (١٢/ ٢٨٠).

رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ} [يوسف: ٥١] {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} [يوسف: ٥٤.]

رؤيا الملك: قال تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ} [يوسف: ٤٣] **وتأويل يوسف لها:** {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف: ٤٧ – ٤٩ .]

وملخصها: أنه قد هالت الملك الأعظم في مصر رؤيا، فطلب تفسيرها، ومضمونها: أن سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس، أكلتهن سبع بقرات هزيلات، وسبع سنبلات خضر انعقد حبّها، غلبتها سبع أخر يابسات آن حصادها، فالتوت عليها. فقال الملك للملأ من الكهنة والعلماء: عبّروا هذه الرؤيا، إن كنتم تعلمون تعبير الرؤيا، وبيان معناها، فقالوا: هذه شوائب وأخلاط من الخواطر والخيالات تتراءى للنائم في عقله، ولا معنى لها، ولسنا عالمين بتأويل أمثالها لو كانت صحيحة(١). **وعبرها يوسف** عليه السلام **فقال:** يأتيكم سبع سنوات مباركة خصبة متوالية، فما حصدتم فاتركوه في سنبله لئلا يأكله السوس، إلا القدر القليل الكافي للأكل الضروري، فهذه السنوات السبع هي البقرات السّمان والسّنابل الخضراء السّبع. ثم يأتي بعد ذلك سبع

(١) روي أن يوسف لما خرج من السّجن اغتسل وتنظّف ولبس ثياباً حساناً، فلما دخل على الملك قال: اللهم إني أسألك من خيره، وأعوذ بعزّتك وقدرتك من شرّه، ثم سلّم عليه بالعربيّة، فقال الملك: ما هذا اللسان؟ فقال: لسان عمي إسماعيل، ودعا له بالعبريّة، فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي. وكان إبراهيم وأولاده وحفدته من العرب القحطانيين، وكان ملوك مصر من العرب الذين يسمون بالرّعاة الهكسوس. ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٥/ ٢٣٠).

سنين جدباء يأكل أهلها كل مدّخرات السنوات السابقة إلا قليلا مما تدّخرون للبذر. ثم يأتي من بعد تلك السنوات الأربع عشرة عام يهطل فيه الغيث وهو المطر، وتكثر الغلال، ويعصر الناس ألوان العصير من زيت الزيتون وسكر القصب وشراب العنب والتمر ونحوها، وهذا الإخبار من مغيبات المستقبل من وحي الله وإلهامه، لا يكون إلا لنبيّ أو رسول، لا مجرّد تعبير للرّؤيا، فهو بشارة في العام الخامس عشر بعد تأويل الرّؤيا بمجيء عام مبارك خصيب، كثير الخير، غزير النّعم.(١)

الحِكم والأسباب والعظات:

- إبهام اسم ملك مصر كان لقصد التعميم، والترغيب في سلوك طريقته وسياسته، والدعوة للاقتداء ببعض أحواله الصالحة.
- الفرج يأتيك بأهون الأسباب، فحين يأذَنُ اللهُ تعالى به تيسرُ له أسبابه، فتُجر الدنيا بقرونها إليك، فقط أحسن علاقتك بربك.
- رؤيا الملك فيها لطف من وجهين: أحدهما: أنها كانت سبباً لخلاص يوسف من سجنه، والثاني: أنها كانت نذيراً بجدب أخذوا أهبته وأعدوا له عدته، فسَلِ اللهَ تعالى أن يدبِّرَ لك أمورَك، فإنه هو من يُحسنُ التدبير.
- يرفع الله ﷻ درجات عباده بالعلم، ويمنّ على أهل العلم وطلابه بمراتب العز والرفعة والكرامة والرعاية ومحبة الخلق والتمكين، والنفع في الدنيا والآخرة.

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٩٨)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (١٢/ ٢٧٥) (١٣/ ٧).

النموذج الرابع: فرعون مصر

الآيات في شأنه ومحل الإبهام:

يُعد أكثر الملوك ذكراً في القرآن الكريم، فقد ورد (٧٤) مرة، في مواضع عديدة وسور متفرقة بلغت (٢٧) سورة، صُوّر فيها الحق المتمثل في موسى عليه السلام مع الباطل المتمثل في فرعون وزبانيته، **ومن بين هذه المواضع:**

- قوله تعالى: {وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الزخرف: ٥١].
- وقوله تعالى: {يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غافر: ٢٩].

اسمه وزمانه ومكانه:

اسمه: الْوَلِيد بن مُصعب، ويكنى: أبا مرة، من المصريين القبط العماليق، فهو من بني عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، وهو أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وكان وجوده في سنة ١٢٢٥ق.م.

وفرعون: ليس اسماً علماً على أحد، بل هو لقب للملك الواحد من الفراعنة، مثل قيصر لملك الروم، وكسرى لملك الفرس، وتبّع لملك اليمن، والنجاشي لملك الحبشة، وخاقان لملك الترك.

وفرعون: في أصله جامد غير مشتق، وهو وصف لملك مصر في عهد موسى عليه السلام، ولما أطلق على أعتى الناس وأمردهم صار كالعلم على العتو والتمرد، فاشتق منه بعضهم، فقالوا: تفرعن فلان: إذا عتا وتجبر، وقالوا: هم الفراعنة للعتاة، وهذا كما قالوا: أبالسة، وأبلس فلان: أي فَعل فِعل إبليس.

وسكن هذا الفرعون أرض مصر، واستعبد أهلها، وظلم وجار في الأرض، واستكبر وكذب موسى وهارون، وتطاول على الذات الإلهية، واستهزئ وتجبر هو ووزراءه وجنوده بغير حق، وبعد دخول الإسلام إلى مصر صار لقب (فرعون) يطلق على الكافر الذي ملك مصر في عهد موسى عليه السلام، ولا يلقب به المسلم.[(١)]

نظرة في السياق والأحداث[(٢)]:

اتصف هذا الفرعون بصفات كثيرة تدل على طغيانه واستبداده، وعمق فساده، فادعى الألوهية، ونكل بمخالفيه وقتلهم، ونشر الظلم والفسق، وقرب من مجلسه أرباب السحر وبطانة الفساد أمثال هامان وقارون، قال تعالى: {اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ} [طه: ٢٤]، {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ} [طه: ٧٩]، {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٤]، {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ} [القصص: ٣٨، ٣٩].

(١) وللمزيد ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٦٨٨)، المحبر لمحمد بن حبيب (ص٤٦٧)، تاريخ الرسل والملوك للطبري (١/ ٣٨٧)، صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل للبلنسي (١/ ١٤٧).

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢/ ٣٨)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٩/ ٣٦) (٩/ ٥٩).

وقد أسس مملكة قوية عبّر عنها القرآن بقوله: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ} [ص: ١٢]، {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} [الفجر: ١٠]، أي: الجنود الكثيرة، والجيوش الجرارة، والمنشآت الشاهقة الكبيرة، كما في قوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ} [غافر: ٣٦]، فأثث لمملكة ثابتة راسخة كثبوت الأوتاد في الأرض.

وقد طلب موسى عليه السلام من فرعون إطلاق سراح بني إسرائيل من أسره واستعباده وقهره، وتركهم حتى يذهبوا معه راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم، ليتفرغوا إلى عبادة ربهم وربه؛ فإنهم من سلالة نبي كريم -إسرائيل- وهو يعقوب، وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الأسباط، تغلب فرعون على نسل بني إسرائيل واستعبدهم، فأنقذهم الله بموسى. عليه السلام

نهاية فرعون: لما كذّب رسل الله، واستهزئ بهم، وافترى عليهم {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ} [المؤمنون: ٤٥، ٤٦]، عاقبه الله عز وجل على استكباره واغتراره بقوته وكثرة جنوده، بعد إمهال طويل هو وقومه الغارقين في النعم، فذكر تعالى في مواضع كثيرة مجموعة من ألوان العذاب التي حلت بهم، منها: {فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا} [المزمل: ١٦]، {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ} [الأعراف: ١٣٣]، {وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} [الأعراف: ١٣٧]، {رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [يونس: ٨٨]، {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا

الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس: ٩٠ – ٩٢]، {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٥، ٤٦].

الحكم والأسباب والعظات:

- إبهام اسم فرعون يقصد به العموم، وجعله عبرة وعظة لغيره ممن يريد محاكات أفعاله أو سلوك دروبه.
- الاستبداد والانفراد بالرأي والاغترار بالجاه والسلطان والمال وبطانة السوء وكثرة الجند تجعل النفس تستشري في فسادها وغيها حتى ترتقي مبلغاً صعباً، فتعمى البصيرة عن رؤية الحق، حتى يصل إلى حد ادعاء الألوهية، وينسب لنفسه ما لم يكن له يدٌ في إيجاده، ويظن ضلاله هدىً ورشاداً، فحينها تكون العاقبة وخيمة، والهوان والذلة والطرد والإبعاد مصيره ومآله.
- كثرة التعاظم والفخر والمباهاة بالمال والجاه مذمومة، لأنها من صفات المتكبرين والظالمين الذين ينظرون إلى الناس بمقاييس الدنيا، بخلاف التفاضُل عند المؤمنين الذي أساسه التقوى ومقاييس الآخرة.
- تكبَّر فرعون فتكبَّر لِكِبْرِه جنودُه، ولو تواضع لتواضعوا، وهكذا كلُّ رأس في الناس يَقتدي به أتباعه يحمل تبعته إلى يوم القيامة، وإنما يتمادى في الاستكبار مَن لا يحسب للآخرة حسابًا، فأمَّا مَن يثق بأن هنالك يومًا سيُعرض فيه على الله تعالى فإنه لا يستطيل على عباده.

- سيقت هذه الأحداث الكثيرة لأجل تثبيت النبي ﷺ، وتأكيد دعوته، وردع مخالفيه، وتثبيت متبعيه وترغيبهم في الإيمان والازدياد منه: {نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [القصص: ٣].
- دائمًا ما يلجأ الطغاةُ إلى التغرير بعوامِّ الناس بإظهار ما عندهم من زخرُف الدنيا، لكنَّ هذا التغرير لا ينطلي على عبدٍ مؤمن امتلأ قلبه يقينًا بما عند الله، لأن عقيدته أن من جعل أليمّ ملاذًا وأمانًا لموسى، هو الذي جعله مخافةً ومهلكة لفرعون.

النموذج الخامس: **ملك قصة موسى والخضر**.

الآيات في شأنه ومحل الإبهام:

ورد ذكره مرة واحدة في سورة الكهف عند قوله تعالى: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف: ٧٩.[

اسمه وزمانه ومكانه:

اسمه: هُدَدُ بن بُدَدَ السهيلي الجَلَندِي، ملك كافر لم يرد في شأنه ووفاته وكيفيتها شيء غير ما ذكر من أنه مات قبل نهاية فترة التيه التي استمرت على بني إسرائيل (٤٠) سنة.

ومكان البحر الذي كان يعترض فيه السفن -على الأشهر- هو مجمع البحرين، وهو محل اتصال البحر الأبيض المتوسط ويسمى ببحر الروم بالبحر الأحمر ويسمى ببحر القلزم.(١)

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٨)، المحبر لمحمد بن حبيب (ص٣٩٢)، صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل للبلنسيّ (٢/ ١٧٢)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ٥٤٧).

نظرة في السياق والأحداث:

سياق هذه الآية يشير إلى أنه ملك موصوف بالظلم والجور، والفساد، والاستبداد، والاعتداد على الضعفاء، وسلب الحقوق، والجشع ودناءة النفس؛ لتحوله من صفات العزة والكرم والأخلاق السامية التي يجب أن يتصف بها الملوك إلى صفات اللصوص والرعاع وقاطع الطريق.

فالسفينة التي خرقها الخضر كانت مملوكة لضعفاء أيتام ليس لهم شيء ينتفعون به غيرها، ولا يقدرون على دفع من أراد ظلمهم، وكانوا يؤجرون تلك السفينة لركاب البحر، ويأخذون الأجرة، فأراد بخرقها ونزع لوح منها أن يعيبها؛ لأنه كان هناك ملك(١) جبار ظالم يستولي على كل سفينة صالحة غير معيبة، ويغتصبها ظلماً وعدواناً دون وجه حق، فكان هذا العمل حماية لهذه السفينة ولأصحابها الضعفاء، فهو من قبيل ارتكاب أخف الضررين لدفع أعظمهما .(٢)

---

(١) في قوله تعالى: {وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ} وجهان: أحدهما: أنه خلفهم، وكان رجوعهم عليه ولم يعلموا به. الثاني: أنه كان أمامهم، وكان ابن عباس يقرأ: {وَكَانَ أَمَامهم ملِكٌ}. واختُلف في استعمال وراء موضع أمام على ثلاثة أقاويل: الأول: يجوز استعماله بكل حال وفي كل مكان وهو من الأضداد، قال الله تعالى: {مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ} [الجاثية: ٤٥] أي: من أمامهم وقدامهم وبين أيديهم جهنم. وكقوله تعالى: {وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً} [الدهر: ٧٦]. الثاني: أن وراء يجوز أن يستعمل في موضع أمام في المواقيت والأزمان؛ لأن الإنسان قد يجوزها فتصير وراءه، ولا يجوز في غيرها. كقول القائل: وراءك برد شديد، وبين يديك حرّ شديد، لأنك أنت وراءه، فجاز لأنه شيء يأتي، فكأنه إذا لحقك صار من ورائك، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك. الثالث: أنه يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر، ولا يجوز في غيره. ينظر: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٣٢)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٣/ ٥٣٥).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٣٤)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (١٦/ ١٠).

الحِكم والأسباب والعظات:

- إبهام اسم هذا الملك الفاسد للتحقير والتقليل من شأنه؛ بسبب سوء صنيعه ودناءة خلقه.
- الإبهام لمراعاة المناسبة وسياق السورة وقصصها، فقد ورد في سورة الكهف أكثر من قصة، أبهم فيها أسماء أصحاب الكهف، وأصحاب الجنة، وملك موسى والعبد الصالح –الخضر–، وذي القرنين، فناسب إخفاء اسم الملك إخفاء اسم الخضر وغيره.
- الأحداث المتتابعة في هذه الحياة تحتاج إلى رويّة، وبُعد نظر، وإعمال للشرع وقواعده العظمى لصلاح أمر الدين والدنيا، كاختيار أهون الشرين وأخف الضررين، وتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى عند التعارض.
- تتكرر مواقف وتفاصيل هذه القصة مع مرور الزمان، فخرق السفينة يذكرنا بتسلط الظلمة على أموال الضعفاء، وأن العلم بمآلات الأمور يعينُ على الصبر عليها، وأن ألطاف الله الخفية تحيط بعباده، فعلى المؤمن أن يحسن الظن بربه، ويصبر ويرضى بقضاء الله وإن كان ظاهره الضرّ.
- العبرة في إحياء ذكرى الإنسان هو عمله الصالح أو الفاسد، ولا عبرة بالدنيا وزينها، فحينما كان الملك معروفاً والخضر متوارياً في برهة من الزمن، كان للعمل الصالح مهمة أسمى وهي تخليد ذكر صاحبه –الخضر– بالثناء عبر العصور والأزمان، وفي المقابل تخليد ذكر هذا الملك بالذم لعمله السيء.

النموذج السادس: ملكة سبأ.

الآيات في شأنه ومحل الإبهام:

ورد ذِكر مَلِكة سبأ من غير تصريح باسمها في موضع واحد في قصة سليمان عليه السلام والهدهد: قال تعالى: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} [النمل: ٢٢ – ٢٣]، أما أرض مملكة سبأ فقد ورد ذكرها في موضع آخر وهو: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} [سبأ: ١٥ – ١٧].

اسمها وزمانها ومكانها:

اسمها: بِلْقِيس بنت – الهدهاد – شراحيل بن مالك، تربعت على عرش مملكة سبأ باليمن، وعاصمتها مدينة مأرب، وعاصرت نبي الله سليمان عليه السلام في أوائل القرن السابع عشر قبل الهجرة، وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها، وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس.

وأهل سبأ هم: قبيلة حِمير، وسميت هذه الأرض بهذا الاسم؛ لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فـ (سبأ) في الأصل اسم لرجل، ولد عشرة من العرب، تيامن منهم ستة فقصدوا جهة اليمن، وتشاءم منهم أربعة، فقصدوا جهة الشام.(١)

(١) وللمزيد ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٧/ ٢٠١)، البدء والتاريخ للمطهر المقدسي (٣/ ١٠٨)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (١٩/ ٢٥٢)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي (٣/ ٢٦٥).

نظرة في السياق والأحداث:

تحدث القرآن الكريم عن سعة مُلك بلقيس، ورجاحة عقلها، وسداد رأيها، وحكمة تدبيرها، وقوة جندها، وصلاح حاشيتها(١)، ووصول كتاب سيدنا سليمان عليه السلام لها، ومشاورة قومها في ما وصل إليها، وتغليبها جانب الحكمة والعقل واللين والسلم والمهادنة، والمبادرة بإرسال الهدايا إلى سليمان، فلما رفضها وأتى بعرشها، ورأت ملك سليمان ودينه، وما حباه الله من عطايا أسفت على ما سلف منها من كفر وشرك، واتبعت دين سليمان وعبادته لله وحده لا شريك له، وقد تحدث القرآن عن تحولها من الكفر إلى الإيمان: {وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} [النمل: ٢٤] ثم كانت الخاتمة والعاقبة باتباع الحق: {وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: ٤٤].

وقد بنت مملكتها على مبدأ تقوية الجوانب الذاتية، بامتلاك مقومات شخصية عالية، كالاتصاف بالعلم، والصدق، والحكمة، وقوة اتخاذ القرار مع حنكة في قيادة وتسيير أمور البلاد والعباد، ثم اعتنت بتدعيم مركز قوتها بتجهيز وإعداد جيش يحمى مملكتها، ويكف الأذى عنها، وأحاطت ذلك كله بشيء من الحكمة، وتعميم مبدأ الشورى(٢)، والاستفادة من خبرات وتجارب قومها.

---

(١) قال تعالى: {وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} [النمل: ٢٣]، {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ} [النمل: ٣٢]، {قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} [النمل: ٣٣ – ٣٥].

(٢) قال تعالى: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ} [النمل: ٣٢].

النهاية: ذهب كثير من العلماء إلى أن سليمان تزوجها، وأقرها على مملكة اليمن وردها إليه، وكان يزورها في كل شهر مرة، فيقيم عندها ثلاثة أيام. وقيل: لم يتزوجها سليمان، بل زوجها بملك همدان باليمن، والأول أشهر وأظهر، والله أعلم.

ثم وهب الله ﷻ أرض سبأ وأهلها جنتين عن يمين وشمال فضلاً ومنّةً، فلما مرت السنين وكفروا وأعرضوا وغيروا بُدلت النعم ونزلت النقم.(١)

الحِكم والأسباب والعظات:

- إبهام اسم الملكة بلقيس كان لتعظيم شأنها، وإبراز دور إعمال العقل والنظر في العواقب، والترغيب في سلوك طريقتها في سياسة الأمور، والاقتداء بها في بعض شؤونها.
- أحداث قصة الملكة بلقيس مثل يحتذى به في الحكمة، وإعمال الفكر والأناة، والظفر بتحقيق النتائج السلمية، وصون البشرية من إراقة الدماء، وحفظ الأنفس، لأن البُعد عن الأهواء والشهوات والكبر يؤدي إلى اتّخاذ القرار السديد.
- من علامات صلاح الملك نظره في أحوال الممالك السابقة والأمم الغابرة للعظة، والاعتبار، والازدياد من الأعمال النافعة، والحذر مما يخل بنظام مملكته، فيعرف متى يُقدِم ومتى يحجم.
- من أهم وظائف المَلك الصالح الذي مكنه ربه من الحكم هو تعبيد العباد لرب العباد.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٩٧)، البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٣٣٧)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (١٩/ ٢٨٢).

- على المدعوِّ إلى الحقِّ ألا يتعاظمَ ولا يتكبر عليه، ويستقبل ذلك بالانقياد، والخضوع بصدقٍ لربِّ العباد، فرُب عقلٍ رزين وفهمٍ رصين طُمست أنواره في ظلام العقيدة الباطلة، والبيئة الفاسدة.
- الحث على تعلم آداب المكاتبات والخطاب في مجال الدعوة إلى الله تعالى خاصة مع أصحاب الشأن الرفيع، ويؤيده قول الله ﷻ لنبيه ﷺ: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل: ١٢٥]، وقوله لموسى وهارون: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ} [طه: ٤٤].
- عدم التعجل في الحكم على الأمور مع المشاورة أمر مطلوب في كل شيء عام أو خاص؛ لأنه يحقق نفعاً ملحوظاً، وخصوصاً في الحروب والمصالحات وقضايا الأمة، ويُستطاع بالحكمة والشورى والعلم ما لا يُستطاع بالقدرة والقوة أحياناً.
- للهدية تأثير في كسب المودة والمحبة، واستلال الحقد والضغينة، وإنهاء الخصومة والمشاحنة والعداوة، مع الحذر من جعلها وسيلة لسلب الحقوق، أو تعطيل الشرع، أو مخالفة الدين.
- الشيطان يُزين قبيح الأعمال حتى يصير القبيح حسن، ويمنع الناس عن طريق الحق والهداية وعبادة الله وحده، وأفضل سبل التغلب عليه هو التوحيد واتباع سنن الأنبياء والصالحين.

النموذج السابع: التّبع اليماني.

الآيات في شأنه ومحل الإبهام:

وردت إشارتين لهذا المَلِك في القرآن الكريم، تارة في سياق الحديث عن مشركي العرب، وتارة في سياق قصص الأمم الكاذبة السابقة، ولم يصرح القرآن باسمه أو مُلكه أو صفة من صفاته أو بشيء أكثر من ذلك، قال تعالى:

- {أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [الدخان: ٣٧]
- {وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ} [ق: ١٤]،

اسمه وزمانه ومكانه:

التّبع: لقب للملك الواحد من ملوك التبابعة، ويطلق على من ملك جميع بلاد اليمن –حمير وسبأ وحضرموت– فلا يطلق على الملك لقب تبع إلا إذا ملك هذه المواطن الثلاثة، ولا يُعد اسماً علماً على أحد بعينه، فهو كالخليفة للمسلمين، وكسرى للفرس، وقيصر للروم، وكانت مكانة تبع في الجاهلية –وهم ملوك العرب الأعاظم– كمكانة الخليفة في الإسلام.

والسبب في إطلاق هذا اللقب ترجع إلى: كثرة أتباعه، أو لأنه يَتبع صاحبه ممن قبله من ملوك اليمن في الحكم، أو لأنه تتبعه ملوك مخاليف اليمن وتخضع له جميع الأقيال والأذواء من ملوك مخاليف اليمن وأذوائه، فلذلك لقب تبعاً لأنه تتبعه الملوك، أو سموه تبعاً باسم الظل؛ لأنه يتبع الشمس كما يتبع الظل الشمس، ومعنى ذلك: أنه يسير بغزاوته إلى كل مكان تطلع عليه الشمس.

ولم يُذكر في القرآن نصاً، بل ظهر تلميحاً، حيث أشار القرآن الكريم إلى حضارة عظيمة كانت في أرض اليمن، هلك أقواماً منها في بعض الأزمان لكفرهم ومخالفتهم لأوامر ربهم ورسله، وكان لهم ملك يلقب بالتبع اليماني، وورد كثيراً في بعض الأحاديث والآثار والروايات المنقولة عن أهل التفسير والسير والتاريخ. **والعرب كانوا يعرفون واحداً من هؤلاء أكثر من غيره،** ولذلك قال ﷺ: "ما أدري أتبع كان لعينا أم لا، وما أدري أذو القرنين كان

نبيا أم لا"[١]، وقال ﷺ: "لا تسبوا تبعا، فإنه قد كان أسلم"[٢]، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان تبع رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله ﷻ ذم قومه ولم يَذُمَّه؟.[٣]"

والمقصود: أسَعْد، المكنى أبا كَرْب، من ملوك وأشراف حمير في اليمن، كان قد عظم سلطانه وغزا بلاد العرب، ودخل مكة ويثرب وبلغ العراق، وهو الذي كسا البيت بعد ما أراد غزوه وهدمه، وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها انصرف عنها لمّا أخبر أنها مهاجر نبي اسمه أحمد يكون في آخر الزمان، وكان بين وفاة تُبع وبعثة المصطفى ﷺ ألف سنة كاملة، وتعليق الإهلاك في القرآن بقوم تبع دونه يقتضي أن تبعاً نجا من هذا الإهلاك، وأن الإهلاك سلط على بعض قومه.

قال الإمام ابن كثير: "وكأنه –والله أعلم–كان كافرًا ثم أسلم وتابع دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح عليه السلام، وحج البيت، وكساه الحرير، ونحر عنده ستة آلاف بدنة، وعظمه وأكرمه، ثم عاد إلى اليمن. وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر، من طرق متعددة مطولة مبسوطة، عن أبي بن كعب وعبد الله بن سلام، وعبد الله بن عباس وكعب الأحبار، وإليه المرجع في ذلك كله، وإلى

---

(١) رواه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير – تفسير سورة حم الدخان بسم الله الرحمن الرحيم – رقم: ٣٦٨٢ – (٢/ ٤٨٨) – وقال الإمام الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده: حديث أبي هند الداري– حديث أبي مالك سهل بن سعد الساعدي – رقم: ٢٢٨٨٠ – (٣٧/ ٥١٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٣) رواه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير – تفسير سورة حم الدخان بسم الله الرحمن الرحيم – رقم: ٣٦٨١ – (٢/ ٤٨٨) – وقال الإمام الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي.

عبد الله بن سلام أيضًا، وهو أثبت وأكبر وأعلم. وكذا روى قصته وهب بن مُنَبِّه، ومحمد بن إسحاق في السيرة كما هو مشهور فيها... وتُبَّع هذا المشار إليه في القرآن أسلم قومه على يديه، ثم لما مات عادوا بعده إلى عبادة الأصنام والنيران، فعاقبهم الله تعالى كما ذكر في سورة سبأ.(١)"

وقد اختلف في نبوته، والتوقف فيها أسلم؛ لأنها تحتاج إلى أدلة واضحة قاطعة، والأقرب أنه لقب يطلق على من كان يملك بلاد اليمن قديماً، وكان له أتباع كثر، وتخضع له كل بلاد اليمن من حِمْير وسبأ وحضرموت.(٢)

نظرة في السياق والأحداث:

سياق آيات سورة الدخان يحدثنا أن الله ﷻ بعد أن ذكر قصة فرعون وقومه مع موسى عليه السلام ليتعظ بها كفار قريش، عاد إليهم بعد أن وصفهم أولاً بأنهم في شك من البعث والقيامة، وأنهم في إصرارهم على كفرهم مثل قوم فرعون الذين أهلكهم ونجّى بني إسرائيل، ثم توعدهم بالهلاك، كما أهلك قوم تبّع من قحطان ملوك اليمن، الذين هم أقوى منهم، وبه تبين أن الله هدد كفار مكة بمصير مشؤوم، مثل مصير قوم فرعون وقوم تبّع، فقال: {أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [الدخان: ٣٧] أكفار قريش الذين هم عرب من عدنان خير في القوة والمنعة، أم قوم تبّع الحميري الذين هم عرب من قحطان، الذين كانوا أقوى جنداً وأكثر عدداً، وكان لهم دولة وحضارة عريقة ومجداً، وكذلك الأمم الذين سبقوهم، كعاد وثمود ونحوهم، أهلكناهم جميعاً لكفرهم وإجرامهم، فإهلاك من هو دونهم لجرمه وضعفه

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٢٥٧).

(٢) وللمزيد ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٤/ ٢٧٩)، البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٢٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٢٧٢)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٢٥/ ٣٠٨).

وعجزه أولى وأقرب وأيسر، فهم ليسوا بخير من قوم تبّع في العدد والعز والمنعة. إنهم بهذا القول استحقوا العذاب، إذ ليسوا هم خيراً من قوم تبّع والأمم المهلكة، وإذا أهلكنا أولئك، فكذا هؤلاء، بل كان من قبلهم أظهر نعمة وأكثر أموالاً، وأعز وأشد وأمنع جانباً، فأهلكهم الله لكفرهم وإجرامهم .(١)

أما سياق سورة (ق)(٢) فيشير إلى أن الله ﷻ قد هدّد كفار قريش بأن يعاقبهم بمثل ما عاقب به الأمم السابقة قبلهم، الذين كذّبوا الرسل، فعذبهم بالطوفان كقوم نوح عليه السلام، أو بالغرق في البحر كفرعون وقومه، أو بريح شديد عاتية كعاد قوم هود عليه السلام، أو بالريح الحصباء وخسف الأرض كقوم لوط عليه السلام، أو بالصيحة الواحدة من جبريل عليه السلام: وهم ثمود قوم صالح عليه السلام، وأهل مدين قوم شعيب، وأصحاب الرسّ –البئر العظيمة– باليمامة، وأصحاب الأيكة –الغيضة الكثيفة الملتفة الشجر– وهم قوم شعيب عليه السلام، أو بخسف الأرض وهو قارون وأصحابه، أو بالإحراق بالنار وهم قوم تبّع ملك اليمن، كل هؤلاء كذبوا رسلهم الذين أرسلوا إليهم، فوجب عليهم الوعيد، وحقت عليهم كلمة العذاب على التكذيب، فلا يضيق صدرك أيها الرسول من كفر قريش بك.

وكان أسعد أبو كرب رجلاً صالحاً، صحب حبرين، فتعلّم منهما دين موسى عليه السلام، فأنكر قومه عليه ذلك، فندبهم إلى محاجّة الحبرين، فوقعت بينهما محاجّة عظيمة، واتفقوا على أن يدخل جميعهم النار التي في القربان، فمن أكلته النار فهو المبطل، فدخلوا فاحترق قوم تبّع، وخرج الحبران تعرق جباههما، فهلك القوم المخالفون، وآمن سائر قوم تبّع بدين الحبرين.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ١٤٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٢٥٦)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٢٥/ ٢٢٧).

(٢)قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ} [ق: ١٢ – ١٤].

ومن المعلوم أنّ سكان الحجاز كانوا مطلعين على قصة قوم تبع الذين كانوا يعيشون في جوارهم، ولذلك لم تفصل الآيات كثيراً في أحوالهم، بل اكتفت بالقول: أن احذروا أنْ تلاقوا نفس المصير الذي لاقاه أولئك الأقوام الآخرون الذين كانوا يعيشون قربكم وحولكم، وتمرون عليهم في مسيركم ورحلاتكم، فعلى فرض أن بإمكانكم إنكار القيامة، فهل تستطيعون أن تنكروا العذاب الذي نزل بساحة هؤلاء القوم المجرمين العاصين؟[(١)]

الحِكم والأسباب والعظات:

- تَرْك ذكر اسم التبع هنا صراحة، أو إشارة بلفظ الملك فيه دعوة للنظر والتفكر والتدبر والبحث عن حال بعض الأقوام وملوكم ومآلهم، ما أدى بدوره لاستنباط ما ألمحت إليه الآيات من وجود ملك محذوف، دل عليه السياق.
- أرض اليمن الواقعة في جنوب الجزيرة العربية من أكثر الأراضي العامرة الغنية، وكانت مهد الحضارة والتمدن، وتتابعت عليها الممالك عبر العصور، ومن بينهم التبابعة.
- حديث القرآن عن الملوك ورد بصور عديدة، فبعضهم صُرح بأسمائهم، وآخرون أبهمت أسماؤهم، وآخرون أبهمت أحوالهم وفُهم من سياق الآيات الإشارة والتلميح إلى ذكرهم –كالتبع–، وآخرون غُض الطرف عن ذكرهم تصريحاً أو إشارة أو تلميحاً، –كبُخْتَنَصَّر–، ونظير ذلك قوله تعالى: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤].

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٢/ ٣٣٦)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٩/ ٩٦)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٢٦/ ٢٨٩).

- من كمال فضل الله تعالى وتمام رحمته أنه يذكّرنا دائماً في المناسبات المختلفة بقدرته التي لا حدود لها، بهدف ترهيب الكافرين، وترغيب المؤمنين وتثبيتهم على الإيمان، والصبر على المحن والشدائد، والأمثلة على التنكيل بالكافرين كثيرة في تاريخ الأمم السابقة، كعاد، وثمود، وقوم تبّع، وغيرهم.
- الإجرام طريق الهلاك، ولا إجرام أكبر من الكفر وتكذيب الرسُل، ومن سُنن الله في خَلقه أن يعاقب من يفعل ذلك جزاءً وِفاقًا، فاحذر هذه المسالك، فإن الله لا يُحابي أحدًا من خَلقه.

النموذج الثامن: **ملك أصحاب الأخدود**.

الآيات في شأنه ومحل الإبهام:

وردت إشارة عابرة من وراء حجاب تُلمح إلى هذا الملك، وذلك في قوله تعالى: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج: ٤ – ٨].

اسمه وزمانه ومكانه:

لم يرد في القرآن الكريم نص صريح باسمه أو وصفه، لكن سياق آيات سورة البروج قد أشارت إليه. **واسمه:** يُوسُفُ ذُو نُواسِ بْنُ شُرَحْبِيلَ، من أهل نجران باليمن، وكان في زمن الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، وهو آخر ملوك حِميَر في أرض اليمن.(١)

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٦٤٧)، المحبر لمحمد بن حبيب (ص٣٦٨)، تاريخ الرسل والملوك للطبري (٢/ ١١٩)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (١٠/ ١٧١).

نظرة في السياق والأحداث:

سياق آيات سورة البروج أشار إلى تنفيذ الجنود لأوامر ملك جائر متسلط معاند لا يقبل الحق، ولا يسلم للعقل السليم، ولا يؤمن بخالق، يُقرب السحرة والجهلة منه، ويعرض عن أهل الحق والإيمان، فبالرغم من ظهور صدق غلام أصحاب الأخدود وما دعا إليه إلا أن الكبر وحب السلطة والنفوذ كان قد تمكن من قلب هذا الملك فأذاق مخالفيه حين خالفوا أمره واتبعوا أمر الغلام سوء العذاب، من إلقاء في النار، وشق بالمنشار، وإلقاء من أعالي الجبال، أو إغراق في البحار، أو ربط في جذوع الأشجار، لسبب واحد وهو أنهم آمنوا بالله سبحانه، وتركوا طاعة هذا الشقي، وقد أشارت السنة الصحيحة إليه في قصة الغلام والساحر والراهب، وقد تشابه فكر هذا الملك وعقله وعقوباته مع فرعون موسى.

وقد أقسم الله ﷻ بالسماء وبمنازل الكواكب ونجومها العظام، وأقسم بيوم القيامة الموعود به، وبمن يشهد في ذلك اليوم، وبالمشهود به على المشهود عليه من الوقائع والجرائم التي فعلها، كالشهادة على أصحاب الأخدود الملعونين الهالكين، الذين طلبوا من المؤمنين بالله ﷻ أن يرجعوا عن دينهم وهو توحيد الله، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدوداً –شقا مستطيلا– وأوقدوا فيه ناراً، وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فلم يقبلوا منهم، فقذفوهم فيها.

وقصة أصحاب الأخدود: جرت في نجران من بلاد اليمن، وكان ملكها ذو نواس له ساحر، وكان للساحر تلميذ اسمه عبد الله بن الثامر، وكان يجد في طريقه إذا مشى إلى الكاهن صومعة فيها راهب كان يعبد الله على دين عيسى عليه السلام ويقرأ الإنجيل، أصله من غسان من الشام ثم ساح فاستقر بنجران، وكان منعزلاً عن الناس مختفياً في صومعته، وظهرت لعبد الله في قومه كرامات، وكان كلما ظهرت له كرامة دعا من ظهرت لهم إلى أن يتبعوا

النصرانية، فكثر المتنصرون في نجران، وبلغ ذلك الملك ذا نواس، وكان يهودياً، وكان أهل نجران مشركين، فقتل الملك الغلام، وقتل الراهب، وأمر بأخاديد، وجمع فيها حطب وأشعلت، وعرض أهل نجران عليها، فمن رجع عن دينه تركه، ومن ثبت على الدين الحق قذفه في النار، وهم يتلذذون ويستمتعون بما تفعل النيران الملتهبة بأجساد هؤلاء المعذّبين.(١)

الحِكم والأسباب والعظات:

- مَلِك أصحاب الأخدود تُرك ذكره صراحة وإشارة لفتح باب النظر والبحث عن حال بعض الممالك، فدل سياق الآيات على وجود ملك محذوف – يُوسُف ذي نُواس– أمر جنده بالتنكيل بالموحدين وإلقائهم في الأخاديد.
- الأحداث والأيام تتكرر، فكما فعل أصحاب الأخدود بتعذيب مخالفيهم بسبب اتباع الحق ودين الله {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}، فعل ذلك أيضاً كفار قريش مع النبي ﷺ وأصحابه، فاعتدوا عليهم، وطردوهم بسبب الدين، قال تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} [الحج: ٤٠]، {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ} [الممتحنة: ١].
- في الآيات درس وعظة وتذكير للمؤمنين بالصبر على ما يلاقونه من الأذى والآلام والمشاق، ودعوة للتمسك بالحق وبذل النفس والمال من أجل إظهار دين الله ﷻ، قال تعالى: {يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: ١٧].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٣٦٦)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٢٤٠)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٣٠/ ١٥٣).

- من سُنن الله في خَلقه، ألَّا يخلوَ زمانٌ من طُغاةٍ مجرمين، وعُتاةٍ متجبّرين؛ امتحانًا، وتمحيصاً، وتمييزاً للخبيث من الطيب، وما من جريمةٍ تُقترَف في الأرض إلَّا هي مَشهودةٌ محضورة، {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} [إبراهيم: ٤٢].

النموذج التاسع: تلميحات لبعض الممالك وملوكم.

١) ملك آل إبراهيم: وقفة مع الآيات ومحل الإبهام:

قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا} [النساء: ٥٢ – ٥٥]، يخبرنا الله ﷻ أن اليهود قوم مغرورون مخدوعون يظنون أن فضل الله مقصور عليهم، ورحمته لا تتعداهم، ولا يستحقها غيرهم، وهم واهمون يحسبون أن مُلك الدنيا بأيديهم، وهم حاسدون العرب على ظهور نبي آخر الزمان فيهم، وعلى ما أعطاهم الله من القرآن والحكمة، وهذا لا غرابة فيه ولا حق لهم بالحسد فيه، فقد آتى الله الأنبياء المتقدمين كإبراهيم وذريته وأبنائه وعقبه ونسله النبوة والملك؛ لأجل كرامته عند الله ووعد الله إياه بذلك، ومع هذا لم تؤمن أممهم جميعاً برسالتهم، بل منهم من آمن بهم، ومنهم من أعرض وظلّ على كفره، فلا تعجب يا محمد من موقف قومك، فهذه حال الأمم مع أنبيائهم، وفي هذا تسلية للنّبي ﷺ، ليشتد صبره على أذى قومه، ولا ييأس من إيمانهم.

فالله ﷻ يعطي ما يشاء لمن يريد:

- فيعطي النّبوة فقط لبعض من اصطفاهم كنوح وهود ولوط عليهم السلام، كما قال: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤]، وقال: {انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [الإسراء: ٢١].
- ويعطى الملك فقط لبعض خلقه، كالملوك الغابرين والمعاصرين، كما قال: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦].
- ويعطى الملك والنّبوة لمن يشاء كآل إبراهيم: {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} [النساء: ٥٤]، فأخبر الله تعالى أنه آتى آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتاهم ملكاً عظيماً، ونِعماً وأفضالاً كثيرة، فأُعطوا الملك كملك داوود وسليمان ويوسف وملوك بني إسرائيل، وأُيدوا بالملائكة والجنود، وأُحل لهم النساء بغير عدد، فكان لداود تسع وتسعون امرأة، ولسليمان أكثر من ذلك، وقد قدَّم الله ﷻ شرف الكتاب والعلم فذكره قبل الملك؛ إذ لا يُضاهي ذلك الشرفَ مُلكٌ ولا سلطان، ولو كان مُلكًا جليلًا عظيمًا[١].

وقال الإمام أبو حيان: "المُلْكُ مُلْكَان: أحدهما: بفضل الشرف في الدين كالنبوة والإمامة. والآخر: بفضل المال والقوة والشجاعة والقهر والغلبة والاتباع. وحصول الملك للكافر بهذا المعنى يمكن، بل هو واقع مشاهد"[٢]،

(١) ينظر: النكت والعيون للماوردي (١/ ٤٩٦)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٥/ ٨٨)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٣/ ١٩٣)، (٥/ ١١٢)، (٥/ ١١٦).

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٢/ ٦٢٦).

ويؤيده قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا} [الإسراء: ١٨]، وقال الإمام مجاهد: "ملك الأرض كلها -مشرقها ومغربها- أربعة نفر: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران: بُخْتَنَصَّر الْبَابِلِيّ، ونمروذ بن كنعان.(١)"

٢) الملوك المفسدون: وقفة مع الآيات ومحل الإبهام:

قال تعالى: {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل: ٣٤]، لما رأت الملكة بلقيس رغبة قومها في الحرب خلافاً لميلها الباطني، حين قالوا {نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} [النمل: ٣٣] ناقشتهم من أجل إطفاء هذا الرغبة، وأن تكون هذه القضية مدروسة، لعلمها بقوة سليمان وجنوده، وما سُخر له من الجن والإنس والطير، فآثرت السلم على الحرب، وقالت: إني أخشى أن نحاربه، فيتغلب علينا، ويصيبنا جميعاً الهلاك والدمار، فمالت إلى المصالحة، وتبين أنها أحزم رأياً منهم، وأعلم بأمر الملك سليمان، ولهذا حكت لهم ما يفعله الملوك الأشداء، فقالت لهم: إن الملوك إذا دخلوا بلداً عنوة وقهراً خرّبوه، وأتلفوا الديار والأموال، وأذلوا أعزة أهلها بالقتل أو الأسر، وأهانوهم غاية الهوان، لتتحقق لهم الغلبة والرهبة، وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير؛ وقد كنت في بيت ملك قديم، فسمعت نحو ذلك ورأيت، فوجهت قومها إلى مراعاة قوة الملوك وشدة بأسهم، حماية لهم وحفظاً

(١) تفسير مجاهد (ص٤٥٠)، وينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢١٩).

لبلادهم، وأن من عادتهم الإفساد والتخريب، والتدمير والإهلاك، والإذلال والإخراج من البلاد.[1]

قال العلامة الطاهر ابن عاشور: "أبدت لهم رأيها مفضلة جانب السلم على جانب الحرب، وحاذرة من الدخول تحت سلطة سليمان اختياراً لأن نهاية الحرب فيها احتمال أن ينتصر سليمان فتصير مملكة سبأ إليه، وفي الدخول تحت سلطة سليمان إلقاء للمملكة في تصرفه، وفي كلا الحالين يحصل تصرف ملك جديد في مدينتها، فعلمت بقياس شواهد التاريخ وبخبرة طبائع الملوك إذا تصرفوا في مملكة غيرهم أن يقلبوا نظامها إلى ما يساير مصالحهم واطمئنان نفوسهم من انقلاب الأمة المغلوبة عليهم في فرص الضعف، فأول ما يفعلونه إقصاء الذين كانوا في الحكم؛ لأن الخطر يتوقع من جانبهم حيث زال سلطانهم بالسلطان الجديد، ثم يبدلون القوانين والنظم التي كانت تسير عليها الدولة، فأما إذا أخذوها عنوة فلا يخلو الأخذ من تخريب وسبي ومغانم، وذلك أشد فساداً. وقد اندرج الحالان في قولها: (إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) .[2] "

٣) **ملوك بني إسرائيل**: **وقفة مع الآيات ومحل الإبهام:**

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة: ٢٠]، **والمعنى:** اذكر يا محمد لبني إسرائيل ولقومك ولسائر الناس أخبار موسى مع قومه، ليصدّقوا بدعوتك ويتحققوا نبوّتك، إذ لا يوجد مصدر آخر لهذه

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٩/ ٤٥٤)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (١٩/ ٢٩٣).

(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (١٩/ ٢٦٥).

الأخبار من غير طريق الوحي إليك. ومشتملات هذه الأخبار: تعداد أهم النّعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل في زمان موسى، وهي ثلاث نعم:

١. تذكروا نعمة الله عليكم بتتابع الأنبياء فيكم، من عهد إبراهيم إلى عيسى عليهم السلام.
٢. وتذكروا أن الله جعلكم ملوكاً أحراراً تملكون أنفسكم ومصائركم وأموالكم وأهلكم بعد أن كنتم مملوكين مقهورين في أيدي القبط المصريين ومَلِكهم فرعون، فعندكم الآن ما يكفيكم من الأزواج والخدم والدور والأراضي، بالإضافة إلى ما وُعدتم به وبُشرتم بظهور الملوك والسلاطين من سلالة بني إسرائيل كطالوت وداوود وسليمان... ومعلوم أن للملوك شرف الدنيا، ينعمون برغد العيش والطمأنينة.
٣. وآتاكم ما لم يؤت أحداً من عالمي زمانكم، من فلق البحر، وإغراق العدو، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الأمور العظام.

فقد تضمنت هذه القصة تقريع لليهود وبيان فضائحهم ومخالفتهم لله ولرسوله، ونكولهم عن طاعتهما فيما أمر به كل منهما من الجهاد، فضعفت أنفسهم عن مقاتلة الأعداء، مع أن معهم موسى كليم الله يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم، وبالرغم مما شاهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون من إغراقه مع جنوده في اليم، وهم ينظرون، لتقر به أعينهم. فإذا كان أسلافهم تمردوا على موسى وعصوه، فكذلك أحفادهم تمردوا على محمد ﷺ، وهذا يدل على قبح طبائع اليهود وإمعانهم في مخالفة أوامر الله، بالرغم من تذكير موسى لهم بنعم الله الكثيرة عليهم .(١)

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (١/ ٦١٩)، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر ابن عاشور (٦/ ١٦١)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٤/ ١٠٢).

كلمة قبل الختام

كانت هذه أبرز الآيات القرآنية المتحدثة عن الملوك المبهمة أسماؤهم في القرآن الكريم، مُوَضَحةً بأشهر طرق كشف المبهمات من قرآن، وسنة، وآثار، وأشهر أقوال أهل التفسير، وعلوم القرآن، والسير، والأخبار، وما نقل من إسرائيليات لا تصادم النص، ولا تعارض الشرع، ولا تخالف الدين.

وقد ظهر في نهاية الدراسة مجموعة من الحِكم من وراء هذا الإبهام، وكان الضابط في اختيارها وتحديدها هو النظر في سياق الآيات الواردة في شأن كل مَلِك، ومدح الله ﷻ له أو ذمه، وربط ذلك بما سُطر في أسباب الإبهام، وفوائد ذكر القصص القرآني عامة وقصص الملوك خاصة، وما نقله أرباب التفسير وعلوم القرآن والتاريخ والأخبار حولهم، ومن أبرزها إجمالاً ما يلي:

- **كانت الحكمة من إبهام اسم الملك – النمروذ–** هي التحقير والتقليل من شأنه، بسبب ما بدر منه من مماطلة وتكبر وغي وضلال ورفض للحق، إضافةً إلى قصد العموم والترهيب من محاكاته، ليكون مثلاً يُذكر في جانب أهل الخذلان عبر الأزمان، بسبب إنكار نعمة الله، واستعمالها في غير موضعها، مع إن النعمة مدعاة للشكر.
- **كانت الحكمة من إبهام اسم الملك –الإسكندر– وإظهار لقبه –ذو القرنين–**، لتعظيمه بالوصف الحسن، وجعله مثالاً وقدوة للحاكم الصالح العادل على مر الأزمنة والعصور، مع الإشارة إلى أن الطريق الصحيح لإعمار الأرض والنهوض بالأمة هو تقوية جانب العقيدة المتمثل في التوحيد والإيمان، والذي بدوره سيدفع إلى شكر المُنعم، والاعتراف بفضله، والتعفف عما في أيدي الناس.

- **كانت الحكمة من إبهام اسم ملك مصر –الريان بن الوليد– في عهد يوسف** عليه السلام لقصد التعميم، والترغيب في سلوك طريقته وسياسته، والدعوة للاقتداء ببعض أحواله الصالحة من إقامة العدل، ورد الحقوق، ورفع قدر أهل العلم والفضل والاستعانة بهم.
- **كانت الحكمة من إبهام اسم الملك – الْوَلِيد بن مُصعب – وإظهار لقبه – فرعون** – لتحقيره والتشنيع عليه بالوصف القبيح، مع قصد العموم، وجعله عبرة وعظة لغيره ممن يريد محاكات أفعاله أو سلوك دروبه القائمة على الاستبداد والانفراد بالرأي والاغترار بالجاه والسلطان والمال وبطانة السوء وكثرة الجند، والتي تجعل النفس تستشري في فسادها وغيها حتى ترتقي مبلغاً صعباً، فتعمى البصيرة عن رؤية الحق، وحينها تكون العاقبة وخيمة.
- **كانت الحكمة من إبهام اسم الملك – هُدَدُ بن بُدَدَ – صاحب قصة موسى والخضر** التحقير والتقليل من شأنه؛ بسبب سوء صنيعه ودناءة خلقه، واعتدائه على الضعفاء، وسلب حقوقهم، وتحوله من صفات العزة والكرم والأخلاق السامية التي يجب أن يتصف بها الملوك إلى صفات اللصوص والرعاع وقاطع الطريق، بالإضافة إلى مراعاة المناسبة والسياق فقد ورد في سورة الكهف أكثر من قصة، أبهم فيها أسماء أصحاب الكهف، وأصحاب الجنة، وملك موسى والعبد الصالح –الخضر–، وذي القرنين، فناسب إبهام اسم الملك إبهام اسم الخضر وغيره.
- **كانت الحكمة من إبهام اسم الملكة – بلقيس–** لتعظيم شأنها، وإبراز دور إعمال العقل والنظر في العواقب، والترغيب في سلوك طريقتها في سياسة الأمور، والاقتداء بها في بعض شؤونها، وجعلها مثلاً يحتذى به

في الحكمة والأناة، والظفر بتحقيق النتائج السلمية، القائمة على العظة والاعتبار بأحوال الممالك السابقة والأمم الغابرة.

- **كانت الحكمة من إبهام اسم التبع اليماني المؤمن – أسَعْد، المكنى أبا كَرْب– وملك أصحاب الاخدود الكافر –يُوسُف ذُو نُواس– وترك ذكرهما** تصريحاً أو إشارة مباشرة بلفظ الملك فيه دعوة للنظر والتفكر والتدبر والبحث عن حال بعض الأقوام وملوكم ومآلهم، ما أدى بدوره لاستنباط ما ألمحت إليه الآيات من وجود ملك محذوف أشار إليه السياق، ليدل بذلك على اشتمال القرآن على ذكر ملوك مصرح بأسمائهم، وآخرين مبهمة أسماؤهم، وآخرين مبهمة أحوالهم ويفهم من سياق الآيات التلميح إلى ذكرهم، وآخرون قد غُض الطرف عن ذكرهم تصريحاً أو إشارة أو تلميحاً.

الخاتمــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات، وأُصَلِّي وأُسَلِّم على خير الأنام نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعد،

ففي نهاية هذا البحث أَحمَدُ الله تعالى على أَنْ يَسَّرَ لي كتابته، وجَمْع ما فيه، ومن خلال دراسة موضوع: مبهمات الملوك في كلام ملك الملوك، وَقَفْتُ على مجموعة من النتائج، وبعض التوصيات التي أَدعُو إليها:

أولاً: أهم النتــائج التي تَوَصَّلتُ إليهـا أُلَخصُهَا في النقاط التالية:

١) أَظهَر البحث أن الحديث عن المبهم في القرآن الكريم والاعتناء به بدأ منذ القرن الأول الهجري، ونال حظاً من التبويب والتصنيف عبر القرون المتعاقبة حتى وقتنا الحاضر.

٢) تعددت وتباينت الأقوال حول تعريف المبهم في القرآن، ولعل أقربها وأشملها أن يقال هو: كل لفظ ورد في القرآن الكريم لم يتحدد المقصود والمراد منه، ولم يُنص على ذكره باسمه العَلَم، أو نسبه، أو لم يحدد عدده، أو لم يبين زمانه، أو لم يعرف مكانه، واحتاج إلى غيره لكشفه وبيانه.

٣) أوضح البحث أن السبيل إلى معرفة المبهم في القرآن الكريم يحتاج أحياناً مع النقل إلى شيء من إعمال الرأي الممدوح.

٤) أفضل الطرق لكشف مبهم القرآن هو طريق القرآن، أو السنة، أو أثار الصحابة والتابعين، أو النظر في أسباب النزول، أو النقل ممن أسلم من أهل الكتاب، أو تحكيم واعتبار إجماع العلماء، أو قول أكثر أهل التفسير والأخبار والسير، أو البحث والنقل من المصنفات والمدونات التي اعتنت بمبهمات القرآن الكريم.

٥) للإبهام في القرآن أسباب عديدة، أبرزها عشرة، وهي: الاستغناء، والاشتهار، والستر، وقلة الفائدة، والعموم، والتعظيم، والتحقير،

والمحاكاة والاقتداء، ومراعاة المناسبة والسياق، والدعوة لإعمال الفكر والنظر.

٦) كلمة (المَلِك) لها إطلاقان: إطلاق عام: يقصد به السلطان صاحب الأمر والسّلطة على أمّة أو قبيلة أو بلاد. وإطلاق خاص: يقصد به اسم من أسماء الله الحسنى.

٧) وردت كلمة (مُلك) و(مَلِك) في آيات كثيرة من القرآن الكريم، معظمها في إثبات المُلك لله مطلقاً، أو مضافةً إلى بعض خلقه كالسماوات والأرض، والبقية واردة في إثبات المُلك لبعض البشر.

٨) بلغ عدد الملوك إجمالاً في القرآن ثلاثة عشرة ملكاً، صرح بأسماء خمسة منهم، وهم: داوود، وطالوت، وجالوت، وسليمان، ويوسف، وأبهمت أسماء ثمانية منهم، وهم: الملك الذي حاج إبراهيم، وذو القرنين، ومَلِك مصر أيام يوسف، وفرعون، ومَلِك موسى والخضر، ومَلِكة سبأ، ومَلِك قوم تبع، ومَلِك أصحاب الاخدود، فضلاً عن لمحات عن بعض الممالك وملوكم، كمُلك آل إبراهيم، ومُلوك بني إسرائيل، والملوك المفسدون على لسان مَلِكة سبأ.

٩) من أهم غايات ذكر الملوك وأحوالهم في القرآن الكريم التنبيه على بعض العِبر والعظات، وإظهار مدى اهتمام القرآن بالتاريخ وحال الأنبياء والأمم السابقة وملوكهم، والتنبيه على أن إيتاء الملك أو نزعه هو سنة من سنن الله الكونية، وإيضاح بعض المناهج والأهداف التي يجب أن يسير عليها المسلم في حياته، وإبراز دور القيادة والإدارة الناجحة أو الفاسدة وأثرها على المُلك وصاحبه ثم على الفرد والمجتمع، وأن المُلك وسيلة لتحقيق غاية عظيمة وهي إقامة دين الله، وأن من أهم دعائم الملك هي إقامة العدل، والعمل بالشورى، وأن مِن أهم أسباب الطغيان الاغترار بالسلطة والمال.

١٠) من أبرز الحِكم والأسباب التي ظهرت في سياق آيات الملوك المبهمة أسماؤهم: قصد العموم، والتعظيم، والتحقير والتشنيع، ومراعاة المناسبة

والسياق، والدعوة إلى الاقتداء بالترغيب أو الترهيب، وجعل بعضهم نماذج وأمثال للعبرة والعظة، مع إعمال الفكر والنظر.

١١) أبهم اسم النمروذ للتحقير والتقليل من شأنه بسبب جهله ورفضه للحق، وأبهم اسم الإسكندر ذو القرنين لتعظيمه بالوصف الحسن، وأبهم اسم ملك مصر الريان بن الوليد للاقتداء به في إقامة العدل، ورفعه لقدر أهل العلم والفضل والاستعانة بهم، وأبهم اسم الوليد بن مصعب فرعون مصر للتحقير والتشنيع عليه بالوصف القبيح، مع قصد العموم والترهيب من محاكاته، وأبهم اسم هُدَدُ بن بُدَدَ مراعاة لمناسبة إبهام أسماء قصص سورة الكهف كالخضر وذي القرنين، مع التقليل من شأنه؛ بسبب سوء صنيعه وتحوله من صفات العزة إلى صفات اللصوص وقاطع الطريق، وأبهم اسم بلقيس لتعظيم شأنها، وإبرازها لدور إعمال العقل والنظر في العواقب، وأبهم اسم التبع أسَعْد، ويُوسُف ذُو نُواس وترك ذكرهما تصريحاً أو إشارة مباشرة بلفظ الملك؛ ليدل على اشتمال القرآن على ذكر ملوك مصرح بأسمائهم، وآخرون مبهمة أسماؤهم، وآخرون مبهمة أحوالهم وفُهم من سياق الآيات التلميح إليهم.

١٢) من أهم الدروس المستفادة أن المَلك العادل الذي يُقيم مملكته على الدين، والشورى، والعلم يَبقى ذكره، وتتناقل سيرته وأفعاله الحسنة، ويُختم له على خير، أما من أقام مُلكه على الكفر، والظلم، والعدوان، وسلب الحقوق، وذل الرعية، ومخالفة ما جاءت به الرسل من الحق المبين، واستخدامٍ للسلطة والقوة في غير محلها، فإنه يُختم له بخاتمة الشقاوة، ويصير حاله ومآله في الدنيا والآخرة عبرة لغيره.

١٣) من أحب شيء أكثر من ذكره، وظهر في فلتات لسانه، فتجد صلاح الملوك يدفعهم لتذكر ما هم عليه من فضل، فينسبونه لمولاهم صاحب الفضل والرحمة، كما صنع ذو القرنين، أما من أحب دنياه

ونسي صاحب المنّة عليه تطاول واستكبر وادعى ما ليس له، وأنكر نِعم ربه ومعطيه، كما فعل النمرود وفرعون.

ثانيـــاً: التوصيـــات:

- أُوصِي الباحثين بالاهتمام بكتاب الله ﷻ، ففيه منهج قويم لا بد أن يُتبع، ومما يُعين على ذلك، الاهتمام بالجوانب التطبيقية، ومن ذلك، محاولة إفراد كل نوعٍ وقسم من أقسام المبهم في القرآن بشيء من الدراسة والبحث والتأليف؛ للوقوف على مزيد من الأسباب والحِكم والهدايات.
- الاهتمام ببيان جانب من جوانب مناهج بعض المفسرين، ومدى تمكنهم من بعض العلوم وأوجه الاستدلال والاستنباط من القرآن وغيره من المصادر، وتعرضهم لبعض الحِكم وأوجه البلاغة من وراء إيراد هذه المبهمات، عن طريق دراسة مقارنة في كيفية عرض المبهمات، ومنهجهم في مناقشتها، وعلى رأس هؤلاء الإمام الطبري، والثعلبي، ومكي، وابن كثير، والطاهر ابن عاشور.

وفي الختام، هذا جهد متواضع أضعه بين يدي القارئ، وأطلب إسداء النصح والتوجيه لي(١)، وأسأل الله التوفيق والسداد، والله ﷻ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، لا رب غيره ولا معبود بحق سواه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه أجمعين.

(١) وصَدَقَ الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُزَنيُّ حين قال: "لَوْ عُورِضَ كتابٌ سَبْعينَ مرةً لَوُجِدَ فيه خَطَأ، أبَى اللهُ أن يكون صَحِيحاً غَيْر كِتابِه". ينظر: موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي (١/ ١٤).

فهرس بأهم المصادر والمراجع

١) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت: ٩١١ هـ) – م: محمد أبو الفضل إبراهيم – ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط: ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م– ج: ٤.

٢) آثار تعيين مبهمات القرآن في التفسير – للباحث: عادل شواش – بحث مقدم لمجلة كلية التربية بجامعة الأزهر ٢٠١٢م – العدد: ١٥١ – الجزء الأول – (ص: ٧٩٩ – ٨٢١).

٣) أسباب النزول لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، أبي الحسن (ت: ٤٦٨ هـ) – م: عصام بن عبد المحسن الحميدان – ن: دار الإصلاح/ الدمام – ط: الثانية ١٩٩٢ م – عدد الأجزاء: ١.

٤) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي (ت: ١٣٩٦ هـ) – ن: دار العلم للملايين/ بيروت – ط: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م – ج: ٨.

٥) البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) – م: صدقي محمد جميل – ن: دار الفكر/ بيروت – ط: ١٤٢٠ هـ– ج: ١٠.

٦) البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي (ت: ٣٥٥هـ) – م: كلِمان هُوار – ن: أَرنست لرُو الصَحّاف، باريس – ط: الأولى، ١٩١٩ – ج: ٦.

٧) البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، بدر الدين، أبي عبد الله (ت: ٧٩٤ هـ) – م: محمد أبو الفضل إبراهيم – ط: الأولى ١٩٥٧ م – ن: دار إحياء الكتب العربية/ بيروت – ج: ٤.

٨) تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، أبي جعفر (ت: ٣١٠هـ) – م: محمد أبو الفضل إبراهيم – ن: دار المعارف بمصر – ط: الثانية، ١٩٦٧م – ج: ١١.

٩) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) – ن: الدار التونسية للنشر/ تونس– ط: ١٩٨٤ هـ – ج: ٣٠.

١٠) التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ) – (ص: ١٠٤) – م: جماعة من العلماء بإشراف الناشر– ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى ١٩٨٣ م – عدد الأجزاء: ١.

١١) تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، أبي الفداء (ت: ٧٧٤هـ) – م: سامي بن محمد سلامة – ن: دار طيبة للنشر والتوزيع – ط: الثانية ١٩٩٩م – ج: ٨.

١٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي – ن: دار الفكر المعاصر/ دمشق – ط: الثانية، ١٤١٨هـ – ج: ٣٠.

١٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي (ت: ١٤٣١هـ) – ن: دار نهضة مصر/ القاهرة – ط: الأولى – ج: ١٥.

١٤) تفسير مجاهد بن جبر المكي القرشي المخزومي، أبو الحجاج (ت: ١٠٤ هـ) – م: محمد عبد السلام أبو النيل – ن: دار الفكر الإسلامي الحديثة/ مصر – ط: الأولى ١٩٨٩ م – عدد الأجزاء: ١.

١٥) تفسير مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، أبو الحسن (ت ١٥٠هـ) – م: عبد الله محمود شحاته – ن: دار إحياء التراث، بيروت – ط: الأولى، ٢٠٠٣ – ج: ٥.

١٦) التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام لمحمد بن علي بن خضر الأندلسيّ، أبي عبد الله بن عسكر (ت: ٦٣٦هـ) – م: حسن مروة – ن: دار الفكر دمشق – ط: الأولى، ١٩٩٧م – ج: ١.
١٧) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، لجمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبي الفرج (ت ٥٩٧هـ) – ن: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – ط: الأولى، ١٩٩٧م – ج: ١.
١٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، أبي جعفر (ت: ٣١٠هـ) – م: أحمد محمد شاكر – ن: مؤسسة الرسالة/ بيروت – ط: الأولى، ٢٠٠٠م – ج: ٢٤.
١٩) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، أبي عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) – م: محمد زهير بن ناصر – ن: دار طوق النجاة – ط: الأولى ١٤٢٢هـ – ج: ٩.
٢٠) الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي، شمس الدين، أبي عبد الله (ت: ٦٧١ هـ) – م: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش – ن: دار الكتب المصرية/ القاهرة – ط: الثانية، ١٩٦٤ م – ج: ١٠.
٢١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين (ت: ١٢٧٠ هـ) – م: علي عبد الباري عطية – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى ١٤١٥ هـ – ج: ١٦.
٢٢) صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل المشهور بـ "تفسير مبهمات القرآن"، لمحمد بن علي البلنسي، أبي عبد الله (ت ٧٨٢هـ) – م: حنيف بن حسن القاسمي – ن: دار الغرب الإسلامي، بيروت – ط: الأولى، ١٩٩١م – ج: ٢.

٢٣) العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، أبي زيد (ت ٨٠٨هـ) – م: خليل شحادة وسهيل زكار– ن: دار الفكر، بيروت – ط: الأولى، ١٩٨١م – ج: ٨.

٢٤) فتوح مصر والمغرب لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبي القاسم المصري (ت ٢٥٧هـ) –ن: مكتبة الثقافة الدينية –ط: الأولى، ١٩٩٥م – ج: ١.

٢٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، جار الله، أبي القاسم (ت: ٥٣٨ هـ) – ن: دار الكتاب العربي/ بيروت – ط: الثالثة ١٤٠٧ هـ – ج: ٤.

٢٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) – م: الإمام أبي محمد بن عاشور – ن: دار إحياء التراث العربي/ بيروت – ط: الأولى ٢٠٠٢م – ج: ١٠.

٢٧) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على الأنصاري، جمال الدين بن منظور، أبي الفضل (ت: ٧١١ هـ) – ن: دار صادر/ بيروت– ط: الثالثة ١٤١٤ هـ– ج: ١٥.

٢٨) المحبر لمحمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، أبي جعفر، (ت ٢٤٥هـ) – رواية: أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، عنه – م: الدكتوره إيلزه ليحتن شتيتر – ن: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن / الهند – ط: الأولى، ١٩٤٢ – ج: ١.

٢٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، أبي محمد (ت: ٥٤٢ هـ) – م: عبد السلام محمد– ن: دار الكتب العلمية/ بيروت– ط: الأولى ١٤٢٢ هـ – ج: ٦.

٣٠) المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني، أبي عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥ هـ) – م: مصطفى عطا – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ط: الأولى ١٩٩٠ م – ج: ٤.

٣١) المستصفى لمحمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبي حامد (ت: ٥٠٥ هـ) – م: محمد عبد السلام عبد الشافي – ن: دار الكتب العلمية – ط: الأولى ١٩٩٣ م – ج: ١.

٣٢) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة لعبد الكريم زيدان – ن: مؤسسة الرسالة، بيروت – ط: الأولى، ١٩٩٨م – ج: ٢.

٣٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبي عبد الله (ت: ٢٤١ هـ) – م: شعيب الأرنؤوط وآخرون – ن: مؤسسة الرسالة/ بيروت – ط: الأولى ٢٠٠١ م – ج: ٤٥.

٣٤) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبي الحسين (ت ٣٩٥ هـ) – م: عبد السلام محمد هارون– ن: دار الفكر– ط: ١٩٧٩ م– ج ٦.

٣٥) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن لجلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت: ٩١١ هـ) – م: مصطفى ديب البغا – ن: مؤسسة علوم القرآن، دمشق – ط: الأولى، ١٩٨٢م – ج: ١.

٣٦) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ) – ن: دار الساقي – ط: الرابعة، ٢٠٠١م – ج: ٢٠.

٣٧) المفصل في صنعة الإعراب لمحمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أبي القاسم (ت: ٥٣٨ هـ) – م: علي بو ملحم – ن: مكتبة الهلال/ بيروت – ط: الأولى، ١٩٩٣ م – ج: ١.

٣٨) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لجمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبي الفرج (ت ٥٩٧هـ) – م: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا – ن: دار الكتب العلمية، بيروت – ط: الأولى، ١٩٩٢م – ج: ١٩.

٣٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ) – ن: دار الكتاب الإسلامي/ القاهرة– ج: ٢٢.

٤٠) النكت والعيون لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، أبي الحسن (ت: ٤٥٠ هـ) – م: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – ن: دار الكتب العلمية/ بيروت – ج: ٦.

٤١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لمكي بن أبي طالب القيسي، أبي محمد (ت: ٤٣٧هـ) – م: مجموعة رسائل بكلية الدراسات العليا/ جامعة الشارقة – ن: مجموعة بحوث الكتاب والسنة بكلية الشريعة/ جامعة الشارقة – ط: الأولى ٢٠٠٨ م – ج: ١٣.

__Sources and references__

1. ***Al-Itqān fī ʿUlūm al-Qurʾān,*** by Jalāl al-Dīn ʿAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr al-Suyūṭī (d. 911 AH), ed. Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Cairo: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb, 1394 AH / 1974 CE, vol. 4.
2. ***Āthār Taʿyīn Mubhamāt al-Qurʾān fī al-Tafsīr,*** by ʿĀdil Shawwāsh, paper submitted to Majallat Kulliyat al-Tarbiyah, al-Azhar University, 2012, no. 151, part 1.

3. ***Asbāb al-Nuzūl,*** by ʿAlī ibn Aḥmad al-Wāḥidī al-Naysābūrī (d. 468 AH), ed. ʿIṣām ibn ʿAbd al-Muḥsin al-Ḥumaydān, Dammam: Dār al-Iṣlāḥ, 2nd ed., 1992, 1 vol.
4. ***Al-Aʿlām: Qāmūs Tarājim li-Ashhar al-Rijāl wa-al-Nisāʾ,*** by Khayr al-Dīn al-Ziriklī (d. 1396 AH), Beirut: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn, 15th ed., 2002, vol. 8.
5. ***Al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr,*** by Muḥammad ibn Yūsuf Abū Ḥayyān al-Andalusī (d. 745 AH), ed. Ṣidqī Muḥammad Jamīl, Beirut: Dār al-Fikr, 1420 AH, vol. 10.
6. ***Al-Badʾ wa-al-Tārīkh,*** by al-Muṭahhar ibn Ṭāhir al-Maqdisī (d. 355 AH), ed. Clément Huart, Paris: Ernest Leroux, 1st ed., 1919, vol. 6.
7. ***Al-Burhān fī ʿUlūm al-Qurʾān,*** by Muḥammad ibn ʿAbd Allāh al-Zarkashī (d. 794 AH), ed. Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Kutub al-ʿArabiyyah, 1st ed., 1957, vol. 4.
8. ***Tārīkh al-Rusul wa-al-Mulūk,*** by Muḥammad ibn Jarīr al-Ṭabarī (d. 310 AH), ed. Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Cairo: Dār al-Maʿārif, 2nd ed., 1967, vol. 11.
9. ***Al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr,*** by Muḥammad al-Ṭāhir ibn ʿĀshūr (d. 1393 AH), Tunis: al-Dār al-Tūnisiyyah lil-Nashr, 1984, vol. 30.
10. ***Al-Taʿrīfāt,*** by ʿAlī ibn Muḥammad al-Sharīf al-Jurjānī (d. 816 AH), ed. group of scholars under the

supervision of the publisher, Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st ed., 1983, p. 104, 1 vol.

11. ***Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm,*** by Ismāʿīl ibn ʿUmar ibn Kathīr al-Qurashī al-Baṣrī al-Dimashqī, Abū al-Fidāʾ (d. 774 AH), ed. Sāmī ibn Muḥammad Salāmah, Riyadh: Dār Ṭaybah li-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 2nd ed., 1999, vol. 8.
12. ***Al-Tafsīr al-Munīr fī al-ʿAqīdah wa-al-Sharīʿah wa-al-Manhaj,*** by Wahbah ibn Muṣṭafā al-Zuḥaylī, Damascus: Dār al-Fikr al-Muʿāṣir, 2nd ed., 1418 AH, vol. 30.
13. ***Al-Tafsīr al-Wasīṭ li-al-Qurʾān al-Karīm,*** by Muḥammad Sayyid Ṭanṭāwī (d. 1431 AH), Cairo: Dār Nahḍat Miṣr, 1st ed., vol. 15.
14. ***Tafsīr Mujāhid ibn Jabr al-Makkī al-Qurashī al-Makhzūmī, Abū al-Ḥajjāj (d. 104 AH),*** ed. Muḥammad ʿAbd al-Salām Abū al-Nīl, Cairo: Dār al-Fikr al-Islāmī al-Ḥadīthah, 1st ed., 1989, 1 vol.
15. ***Tafsīr Muqātil ibn Sulaymān ibn Bashīr al-Azdī al-Balkhī, Abū al-Ḥasan (d. 150 AH),*** ed. ʿAbd Allāh Maḥmūd Shaḥātah, Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth, 1st ed., 2003, vol. 5.
16. ***Al-Takmīl wa-al-Itmām li-Kitāb al-Taʿrīf wa-al-Iʿlām,*** by Muḥammad ibn ʿAlī ibn Khiḍr al-Andalusī, Abū ʿAbd Allāh ibn ʿAskar (d. 636 AH), ed. Ḥasan Marwah, Damascus: Dār al-Fikr, 1st ed., 1997, vol. 1.
17. ***Talqīḥ Fuḥūm Ahl al-Athar fī ʿUyūn al-Tārīkh wa-al-Siyar,*** by Jamāl al-Dīn ʿAbd al-Raḥmān ibn ʿAlī

ibn Muḥammad al-Jawzī, Abū al-Faraj (d. 597 AH), Beirut: Sharikah Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam, 1st ed., 1997, vol. 1.

18. ***Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʾwīl Āy al-Qurʾān,*** by Muḥammad ibn Jarīr ibn Yazīd ibn Kathīr ibn Ghālib al-Ṭabarī, Abū Jaʿfar (d. 310 AH), ed. Aḥmad Muḥammad Shākir, Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 1st ed., 2000, vol. 24.

19. ***Al-Jāmiʿ al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min Umūr Rasūl Allāh ﷺ wa-Sunanih wa-Ayyāmih,*** by Muḥammad ibn Ismāʿīl al-Bukhārī al-Juʿfī, Abū ʿAbd Allāh (d. 256 AH), ed. Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir, Beirut: Dār Ṭawq al-Najāt, 1st ed., 1422 AH, vol. 9.

20. ***Al-Jāmiʿ li-Aḥkām al-Qurʾān,*** by Muḥammad ibn Aḥmad ibn Abī Bakr al-Anṣārī al-Khazrajī al-Qurṭubī, Shams al-Dīn, Abū ʿAbd Allāh (d. 671 AH), ed. Aḥmad al-Bardūnī and Ibrāhīm Aṭfīsh, Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, 2nd ed., 1964, vol. 10.

21. ***Rūḥ al-Maʿānī fī Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm wa al-Sabʿal-Mathānī,*** by Shihāb al-Dīn Maḥmūd ibn ʿAbd Allāh al-Ālūsī (d. 1270 AH), ed. ʿAlī ʿAbd al-Bārī ʿAṭiyyah, Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st ed., 1415 AH, 16 vols.

22. ***Ṣilat al-Jamʿwa ʿĀʾid al-Tadhyīl li-Mawṣūl Kitābay al-Iʿlām wa al-Takmīl, known as Tafsīr Mubhamāt al-Qurʾān,*** by Abū ʿAbd Allāh Muḥammad ibn ʿAlī al-Balansī (d. 782 AH), ed. Ḥanīf ibn Ḥasan al-

Qāsimī, Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1st ed., 1991, 2 vols.

23. ***Al-ʿIbar wa Dīwān al-Mubtadaʾ wa al-Khabar fī Tārīkh al-ʿArab wa al-Barbar,*** by Abū Zayd ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Khaldūn (d. 808 AH), eds. Khalīl Shaḥāda & Suhayl Zakkār, Beirut: Dār al-Fikr, 1st ed., 1981, 8 vols.

24. ***Futūḥ Miṣr wa al-Maghrib,*** by Abū al-Qāsim ʿAbd al-Raḥmān ibn ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-Ḥakam (d. 257 AH), Cairo: Maktabat al-Thaqāfah al-Dīniyyah, 1st ed., 1995, 1 vol.

25. ***Al-Kashshāf ʿan Ḥaqāʾiq Ghawāmiḍ al-Tanzīl,*** by Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ʿUmar al-Zamakhsharī (d. 538 AH), Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 3rd ed., 1407 AH, 4 vols.

26. ***Al-Kashf wa al-Bayān ʿan Tafsīr al-Qurʾān,*** by Abū Isḥāq Aḥmad ibn Muḥammad al-Thaʿlabī (d. 427 AH), ed. al-Imām Abū Muḥammad ibn ʿĀshūr, Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, 1st ed., 2002, 10 vols.

27. ***Lisān al-ʿArab,*** by Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn Muḥammad ibn Mukarram ibn Manẓūr (d. 711 AH), Beirut: Dār Ṣādir, 3rd ed., 1414 AH, 15 vols.

28. ***Al-Muḥabbar,*** by Abū Jaʿfar Muḥammad ibn Ḥabīb al-Hāshimī al-Baghdādī (d. 245 AH), transmitted by Abū Saʿīd al-Ḥasan ibn al-Ḥusayn al-Sukkarī, ed. Dr. Ilse Lichtenstädter, Hyderabad: Dāʾirat al-Maʿārif al-ʿUthmāniyyah, 1st ed., 1942, 1 vol.

29. ***Al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʿAzīz,*** by Abū Muḥammad ʿAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib ibn ʿAṭiyyah al-Andalusī (d. 542 AH), ed. ʿAbd al-Salām Muḥammad, Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st ed., 1422 AH, 6 vols.

30. ***Al-Mustadrak ʿalā al-Ṣaḥīḥayn,*** by Abū ʿAbd Allāh Muḥammad ibn ʿAbd Allāh al-Ḥākim al-Naysābūrī (d. 405 AH), ed. Muṣṭafā ʿAṭā, Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st ed., 1990, 4 vols.

31. ***Al-Mustaṣfā,*** by Abū Ḥāmid Muḥammad ibn Muḥammad al-Ghazālī al-Ṭūsī (d. 505 AH), ed. Muḥammad ʿAbd al-Salām ʿAbd al-Shāfī, Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st ed., 1993, 1 vol.

32**.** ***Al-Mustafād min Qiṣaṣ al-Qurʾān li al-Daʿwah wa al-Duʿāt,*** by ʿAbd al-Karīm Zaydān, Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 1st ed., 1998, 2 vols.

33**.** ***Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal,*** by Abū ʿAbd Allāh Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ḥanbal (d. 241 AH), eds. Shuʿayb al-Arnaʾūṭ et al., Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 1st ed., 2001, 45 vols.

34. ***Muʿjam Maqāyīs al-Lughah,*** by Abū al-Ḥusayn Aḥmad ibn Fāris al-Qazwīnī al-Rāzī (d. 395 AH), ed. ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Beirut: Dār al-Fikr, 1979, 6 vols.

35. ***Mufhimāt al-Aqrān fī Mubhamāt al-Qurʾān,*** by Jalāl al-Dīn ʿAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr al-Suyūṭī (d. 911 AH), ed. Muṣṭafā Dīb al-Bughā, Damascus: Muʾassasat ʿUlūm al-Qurʾān, 1st ed., 1982, 1 vol.

36. ***Al-Mufaṣṣal fī Tārīkh al-ʿArab Qabla al-Islām,*** by Dr. Jawād ʿAlī (d. 1408 AH), Beirut: Dār al-Sāqī, 4th ed., 2001, 20 vols.
37. ***Al-Mufaṣṣal fī Ṣanʿat al-Iʿrāb,*** by Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ʿUmar al-Zamakhsharī (d. 538 AH), ed. ʿAlī Bū Milḥim, Beirut: Maktabat al-Hilāl, 1st ed., 1993, 1 vol.
38. ***Al-Muntaẓam fī Tārīkh al-Umam wa al-Mulūk,*** by Abū al-Faraj ʿAbd al-Raḥmān ibn ʿAlī ibn al-Jawzī (d. 597 AH), eds. Muḥammad ʿAbd al-Qādir ʿAṭā & Muṣṭafā ʿAbd al-Qādir ʿAṭā, Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st ed., 1992, 19 vols.
39. ***Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa al-Suwar,*** by Ibrāhīm ibn ʿUmar al-Biqāʿī (d. 885 AH), Cairo: Dār al-Kitāb al-Islāmī, 22 vols.
40**.** ***Al-Nukat wa al-ʿUyūn,*** by Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn Muḥammad al-Māwardī (d. 450 AH), ed. al-Sayyid ibn ʿAbd al-Maqṣūd ibn ʿAbd al-Raḥīm, Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 6 vols.

41. ***Al-Hidāyah ilā Bulūgh al-Nihāyah fī ʿIlm Maʿānī al-Qurʾān wa Tafsīrih wa Aḥkāmih wa Jumal min Funūn ʿUlūmih,*** by Abū Muḥammad Makkī ibn Abī Ṭālib al-Qaysī (d. 437 AH), ed. Majmūʿat Rasāʾil bi-Kulliyat al-Dirāsāt al-ʿUlyā, published by Majmūʿat Buḥūth al-Kitāb wa al-Sunnah bi-Kulliyat al-Sharīʿah, Jāmiʿat al-Shāriqah, 1st ed., 2008, 13 vols.

فهرس الموضـــوعات